الفصل السادس

1 ـ الإقصاء والانفتاح، الإلغاء والتعارف.

2 ـ الإعلام الغربي المعادي للإسلام والمسلمين.

3 ـ مواقف الكنيسة الكاثوليكية الإيطالية من العرب والإسلام والمسلمين.

4 ـ المواقف الغربية تجاه قضايا العرب والمسلمين.

5 ـ التحالف الغربي الصهيوني ضد العرب والمسلمين.

6 ـ واقع المسلمين في دول الغرب.

7 ـ العنصرية الموجهة للعرب والمسلمين.

نماذج من: كندا ـ فرنسا ـ هولندا

obeikandl.com

obeikandl.com

عندما نتحدث عن مفهوم الإقصاء والانفتاح ومفهوم الإلغاء والتعارف، لابد أن نؤكد عودة هذه المفاهيم إلى البنية الثقافية التي انبنى عليها كل شعب حسب المؤثرات البيئية والدينية والاجتماعية والاقتصادية والعرقية، فما يظهر في أوساط الغرب من فلسفة الإقصاء لم يكن وليد يوم أو شهر، إنما هو نتيجة تراكم مرّ عبر مئات السنين.

وكذا الأمر بالنسبة للشرق العربي فإن الانفتاح وتقبل الآخر لم يكن وليد يوم أو سنة إنما هو تراكم مرت عليه مئات السنين.

وقد نقف متجاذبين بين من يقول إن الشرق العربي عرف فلسفة الإقصاء وأن الغرب منفتح، ونقع تحت مقولات متناقضة ربما تحيّرنا أو تحجمنا عن الميل إلى هذا أو ذاك.

ولعل السبيل الوحيد أمامنا دراسة التاريخ على الأقل، التاريخ الذي بدأ بعد ميلاد السيد المسيح عليه السلام، والسبب في اختيار هذا التاريخ هو وجود الإمبراطورية الرومانية الواسعة وكذلك قوتها التي كانت آنذاك لا تعادلها سوى حضارة الفرس وقوتهم، وبدءاً من القرن الأول للبعثة الإسلامية، أي القرن السادس الميلادي اتضحت مفاهيم الإقصاء والإلغاء ومفاهيم التقبل والانفتاح وراحت تتراكم حتى وصلت الذروة زمن الحرب الإفرنجية.

ومنذ ذلك الوقت برزت التيارات المتعادية والمتصارعة ليس فقط على شكل صراع مادي بل اتسعت أبوابه لتنفتح على أشكال أخرى من الصراع، كالصراع الثقافي والصراع العرقي وكذلك الاجتماعي والاقتصادي.

ومع انكفاء الحرب الإفرنجية في القرن الثالث عشر نهائياً راحت أوروبا تعيش حالة مخاض وصراعات محلية استمرت حتى بداية القرن السادس عشر حيث

راحت الأفكارالجديدة من فلسفية وإلحادية تنتشر في أوروبا متحدية سلطة الكنيسة، حتى برز العالم الغربي الصناعي وبرزت البرجوازية ثم الرأسمالية، ثم تلتها الشيوعية والأفكار الوجودية الأخرى.

وعندما انتهت الحرب العالمية الأولى برزت قوى الاستعمار التقليدي كالبريطانيين والفرنسيين والطليان والإسبان، فاحتُل المشرق العربي والمغرب ووقعت الأرض العربية فريسة ذلك الاستعمار، وخلال فترة هذا الاستعمار اتضحت ثقافة الإقصاء والإلغاء بشكل فجّ ومدروس، وبات من الواضح أن النظرة الغربية للشرق العربي الإسلامي باتت تحكمها بعض المعايير الفوقية العنصرية، التي أدت إلى جعل المنطقة العربية مصدر الثروات الغربية من جهة، وسوق استهلاك للمنتوج الغربي من جهة ثانية.

وقد انعكس ذلك كله في الثقافة الغربية، فأصبح الإنسان العربي المسلم في نظر تلك الثقافة الإنسان المتخلف والمتوحش وغير الإنساني، لذلك وجب النظر إليه نظرة دونية، بل إن بعض الأوساط الغربية أشاعت في مجتمعاتها أن العربي المسلم ليس سوى من فصيلة القرود وأنه يتمثل الصفات الحيوانية في كل تصرفاته.

ومضى ذلك الوقت وانكفأ الاستعمار التقليدي وبدأ الانفتاح العربي على الغرب والانفتاح الغربي على الشرق، لكن النتيجة كانت في معظم صورها وبالاً على العرب، حيث ظهرت علامات التغريب واستلاب الهوية الشخصية خاصة لدى الدارسين من أبناء العرب في الجامعات الغربية.

ومنذ أكثر من عشرين عاماً ظهرت لدى العالم العربي موجات من الهجرة العربية إلى أوروبا، وتكاثر المهاجرون العرب والمسلمون حتى أصبحوا اليوم أكثر من عشرين مليوناً معظمهم في فرنسا وألمانيا وإسبانيا وبريطانيا.

وبسبب هذا الوجود ظهر الاحتكاك بينهم وبين أبناء الغرب مما أفرز موجتين من موجات الأفكار، موجة عنصرية يمينية تقف ضد العرب والإسلام والمسلمين، وموجة تتقبل العرب والإسلام والمسلمين، بل تتبنى الإسلام ديناً على حساب العقيدة المسيحية الغربية.

وفي هذا الجو برزت بشكل واضح تيارات متطرفة يتزعمها مفكرون وسياسيون وصحفيون راحت تشتم الإسلام وتشوّه الأنبياء والقرآن وتدعو إلى تهجير العرب والمسلمين من أوروبا، وتشن الحملات الصحفية والتلفزيونية على المسلمين والإسلام، وكل ذلك يندرج تحت دائرة نظرية الإقصاء والإلغاء التي يروج لها بعض الساسة والمفكرين الغربيين.

فلماذا يقف الغرب هذا الموقف من الإسلام والمسلمين، أيكون الحادي عشر من أيلول سبباً رئيساً لذلك؟ أم أن الكنيسة والبابا يلعبان دوراً دينياً سلبياً تجاه الإسلام والمسلمين؟ أم أن النظريات العرقية العنصرية باتت تتسرب في أوساط الأجيال الغربية وتنتشر بينها؟ أم أن الأوساط الصهيونية المرتبطة بالعنصرية (الإسرائيلية) لعبت أكبر دور في دفع الغربيين لمعاداة الإسلام والمسلمين؟.

أم أن هناك أسباباً أخرى تختبئ وراء مظاهر المواقف السياسية والسياسات الغربية تجاه عالمنا العربي الإسلامي؟

نعتقد أن كل مسلم مثقف متعلم لابد أن يطرح هذه الأسئلة الاستنكارية، وأقول الاستنكارية لأنه لا يريد الإجابة عن أسئلته وإنما يريد أن يحتج على هذه السياسات الإقصائية التي يتبناها الغرب تجاه الإسلام والمسلمين.

ثقافة الإقصاء والإلغاء:

من الطبيعي أن الذي يفكر بالإقصاء أو الإلغاء ينظر إلى نفسه على أنه الأسمى عرقاً أو حضارة، وينظر إلى عدم التساوي بين البشر على أنه قدر إلهي أو قدر طبيعي.

والإقصاء إما أن يكون بسبب تضخم الأنا عند الذي يفكر بالإقصاء، وإما أن تكون لاعتقادٍ أن اللون الأبيض أسمى من الأسود أو الأصفر أو الأسمر، أو يكون لاعتقاد أن العرق الآري أو الإنجليزي أو غيرهما أسمى من بقية العروق.

لذلك قد يلجأ هذا المتميز عن غيره إلى نص ديني كما فعل مؤلف التوراة في سفر التكوين، حين جعل النبي نوحاً يقصي حام وولده كنعان بلعنة مفترضة، أو يكون قد

لجأ إلى نص فكري قاله أحد الفلاسفة أو المفكرين، وقد يكون من خلال نظرة جغرافية تقول بأن بلده محرم على غيره من الشعوب الأخرى أو الأمم الأخرى.

وعندما نسبر التاريخ وكذلك الوقت المعاصر نرى هذه الأشكال من أسباب الإقصاء في العالم الغربي وقد تطورت وامتزجت بالسياسة والواقع الفكري لقوى عديدة، راحت تنهض بقوة في العالم الغربي وتهدد الإسلام والمسلمين، وخاصة هؤلاء الذين هاجروا من بلادهم إلى العديد من دول الغرب.

وقد يفترض بعض الباحثين والساسة أن الحادي عشر من أيلول وما تبعه من تداعيات أبرز التفكير الغربي الإقصائي، لكن التاريخ يقول لنا إن نظرية الإقصاء هي أقدم بكثير من هذا الحادث أو الحدث الكبير.

ومن الممكن القول بشكل مكثف: إن الإقصاء موجود منذ قرون، وأن أسبابه خلقها الغرب نفسه وهو يتحمل تبعاته، وربما نقول: إن أحداث 11 أيلول كانت نتيجة وليس سبباً، وعلى الغرب أن يتحمل نتائج ظلمه وإقصائه منذ أن تهافت على الشرق وراح يعبث به ويقسم أرضه ويرسم اقتصاده وسياسته.

(ومن الحقائق المسلم بها أن للإسلام أعداءه في أوروبا أولئك الذين يقفون في طريقه منعاً لانتشاره، وأن أولئك الأعداء يعملون ما في وسعهم للهجوم على الإسلام إذا أتاحت لهم الفرصة ذلك في محاولة لإظهار هذا الدين بطريقة باهتة)[1].

ومن الطبيعي أن الأعداء هؤلاء لا يتوقفون عن طرح آرائهم الإقصائية للإسلام والمسلمين، ولا تقتصر نداءاتهم الإقصائية في بلد دون بلد، فتارة نسمع هذه النداءات في فرنسا وتارة في أمريكا وأخرى في الدانمارك ورابعة في هولندا، وخامسة في بريطانيا وغيرها وغيرها..

ففي فرنسا مثلاً تكثر تلك الأصوات وتشتد ضراوة كلما ازدادت موجة الهجرة إلى فرنسا.

---

(1) الإسلاموفوبيا، ظاهرة تنمو في أوروبا عبد الرحمن فروجا، مجلة التواصل، العدد 14، حزيران، 2007، ترجمة محمد العالم.

في 25/ 9/ 1991 يصرّح جان كلود بارو في صحيفة لوكودو باري: إن الدين الإسلامي هو الأكثر انغلاقاً وتشدداً بين الديانات، وأن استيعاب المهاجرين المسلمين في فرنسا يمر عبر التخلي عن ممارسته، ويقول: يجب التوقف عن إخفاء المشكلة عن أنفسنا، الاستيعاب الناجح يمر عبر التخلي عن ممارسة الإسلام الذي هو دين سياسي بعيد عن العلمانية، وبارو كان رئيس مكتب الهجرة الدولية في فرنسا.

وفي أمريكا تقول وليم باكلي في صحيفة نيو ريببلك الأمريكية: (لا يسع المرء أن ينكر أن هناك ثقافة عربية في بروكلين وجيرسي سيتي وديترويت، يتغذى منها المجرمون وتنتعش انتعاشاً مروعاً بهم، وينبغي علينا أن نشير بوضوح صارم إلى أن ثقافتنا لا تتوافق قط مع الأصوليين ونحتاج لتنظيم قوانين الهجرة إلى بلادنا بالإشارة لهذه القضية).

بينما راح وزير الدولة الفرنسي للاستيعاب كوفي يمنيان يقول: (على المسلمين أن يقبلوا بفصل الدين عن الدولة ويتخلوا عن تعدد الزوجات وتغييرهن ووضع منديل الرأس في المدارس).

ويصرّح جورج فريش النائب الفرنسي، أن هناك مشكلة مع الإسلام الذي لا يفرق بين الأمور الروحية والأمور الزمنية، واعتبر أن الجدل في شأن وضع الشابات المسلمات منديل الرأس في المدارس لا علاقة له بالإسلام، بل يشكل نموذجاً لمفهوم التفوق الذكوري السائد في حوض المتوسط، وأضاف: إن اندماج المسلمين سينطلق من عمل النساء اللواتي يرفضن أن يُحقن آباؤهم ويرغبن باستخدم وسائل منع الحمل، وعدم إنجاب أكثر من ثلاثة أطفال وارتداء التنانير القصيرة، وعدم البقاء منزويات في المنازل[1].

ووصل الحد بوزير الدولة الفرنسي قوله: إنه لا يريد تحقير الجنسية الفرنسية بإعطائها للمسلم الذي لا يحترم الميثاق الجمهوري.

---

(1) جريدة الشرق الأوسط تاريخ 14/ 7/ 1993.

وهذه التصريحات قديمة قياساً بما سمعنا من تصريحات غيرها بعد الحادي عشر من أيلول، فقد كان الحدث أكبر مناسبة ليتنفس المسؤولون الغربيون حقدهم على العرب والمسلمين ويطالبوا بكل صراحة بتطبيق الإقصاء والإلغاء على المسلمين وخاصة هؤلاء الذين هاجروا إلى بلاد الغرب.

الإعلام الغربي المعادي للإسلام:

استكمالاً لنظرية الإقصاء وإفصاحاً عن كل حيثياتها تأتي الحملات الإعلامية والثقافية في أوسع أبوابها لتشكل المنحى العملي التحريضي لدى الغرب، ولاسيما الأطراف المغالية والتي يُطلق عليها اليمين، بمقابل ما يسمى اليسار.

وتتناول هذه الحملات الإسلام كدين، والمسلمين كبشر، وتتناول القرآن الكريم وشخصية النبي محمد (ﷺ)، وبقية المتعلقات بالإسلام والمسلمين، والواقع أن الحملات ليست وليدة يوم وليلة، إنما هي تشكل كماً هائلاً في الوعي الثقافي والإعلامي الغربي.

لقد تربى الغرب على حقن ثقافي معادٍ للإسلام منذ عشرات السنين، ولم تتوقف حملات الحرب على الإسلام.

في القرن الثامن عشر شن فولتير الفرنسي هجوماً على شخصية النبي محمد عليه الصلاة والسلام وقدم في كتابته صورة من أسوأ الصور، وذلك في بعض كتبه ومنها كتاب القاموس الفلسفي.

وفي القرن التاسع عشر كتب أرنست رينان عن الإسلام، والعلم فنسب الإسلام إلى المخترع ـ (محمد) ﷺ إلى أن وصلنا إلى عصرنا الحالي حين نرى صموئيل هنتنغتون يشن حملة على الحضارة الإسلامية ونبي الإسلام.

وهناك الكثير من الكتب التي نجهلها والتي لم تترجم إلى العربية وتنتشر في أمريكا وأوروبا وفي مجملها هجوم على الإسلام ونبي الإسلام والمسلمين.

ومن أمثلة هذه الكتب بعض ما ألفته الصحفية الإيطالية أوريانا فالاتشي وهي ممن شاهد أحداث الحادي عشر من أيلول عياناً عندما كانت في نيويورك، وقد عنونت أحد كتبها بـ (الحقد والغلو)، أو الضغينة والغلو.

فهي لا تسمي المسلمين بالمسلمين بل تقول عنهم الصراصير، وتقول عن نبينا (ﷺ) محمد سارق الدين، دجال ليس نبياً متعصباً.

وتصف المسلمين بقولها: هؤلاء الذين تزعجنا أصواتهم المنكرة في أعلى المنارات (المآذن)، وتقول: ماذا نجد عند أتباع محمد، ماذا نجد في الثقافة الأخرى ثقافة الملتحين أصحاب الجبة والعمامة؟، وترى أن القرآن سرقة واحتيال على الدين المسيحي وتهريب للديانة اليهودية، وتقول محرضة على اضطهاد المسلمين: ماذا نجد في القرآن لا نجد إلا الحقد والكراهية، والمسلمون يغزونكم في عقر داركم يحولون أجراس الكنائس إلى مآذن[1].

ومثل ذلك كثير في وسائل الإعلام الغربية الأخرى، فإضافة إلى الكتب تكثر المجلات والصحف التي تشن الحملات المغرضة على الإسلام والمسلمين.

فنرى مثلاً الرسوم الساخرة أو الصور الكرتونية السيئة السمعة عن الرسول محمد (ﷺ) في صحيفة بولندس بوستن الدانماركية، وقد تم إعادة نشر هذه الصور في صحف أخرى عبر أوروبا تحت شعار حرية التعبير، لقد جاءت الرسوم لتثير الاشمئزاز، مما أثار الكثيرين من العقلاء وذوي النوايا الطيبة من المسلمين وغيرهم.

وعندما ننظر إلى ما وراء الحملة نرى أن الغرب يربط بين الإرهاب والإسلام، وقد غذت وسائل الإعلام الغربية، خاصة الصحف والمجلات الأمريكية هذه الحملة بهذا الربط حتى أن السياسيين من الحزب الجمهوري الأمريكي وكذلك من الحزب الديموقراطي رأوا في الحملة على الإسلام حرباً صليبية جديدة كما زعم أو تصور الرئيس بوش في حينها.

---

(1) سعيد بن سعيد العلوي، الإسلام في الوعي الثقافي الغربي المعاصر، مجلة التواصل، العدد 15، أيلول، 2007.

والواقع أن أوساط المحافظين الجدد ودعاة الصهيونية الإنجيلية في أمريكا يتحكمون بالإعلام بشكل عام، ولا ننسى التحالف الجذري بينهم وبين الصهيونية العنصرية، وأهم مصلحة للصهيونية أن تتأجج الحرب الإعلامية على العرب والمسلمين لذلك أصبح من المسلمات لدى تلك الأوساط أن الإسلام هو العدو الأول لما يسمى الحضارة الأمريكية أو الحضارة الغربية بشكل عام.

ولم تأتِ هذه النظرة من فراغ، فبعد سقوط الشيوعية وتفتت الاتحاد السوفياتي أخذت بعض الأوساط السياسية والفكرية الأمريكية تؤسس لإيجاد العدو البديل فلم يجدوا إلا الإسلام والمسلمين.

والأغرب أنهم أوجدوا هذا العدو في تصورهم بناءً على تفكير صهيوني صليبي امتزجا عقدياً وتاريخياً ومصلحياً واستراتيجياً، وربطوا بين الإسلام والإرهاب ليبرروا هجومهم المسلح على العراق وأفغانستان وليهددوا الدول العربية والإسلامية والمنحازة للمقاومة المشروعة ضد التواجد الاستعماري الأمريكي والصهيوني.

واستناداً على آراء المفكرين الغربيين أمثال صموئيل هنتنغتون راح السياسيون وخاصة المحافظون الجدد في أمريكا يطبقون مفهوم صراع الحضارات أو صدامها، واعتبروا أن الصدام واقع لا محالة بين حضارة الغرب وبين حضارة العرب والمسلمين، حتى أن الغربيين وعلى مدى سنوات طويلة اعتبروا ما أنتجته الحضارة العربية الإسلامية ليس سوى تدمير للحضارات الأخرى.

(ويُعد الإسلام في أحسن حالاته بالنسبة للمسيحية الغربية هرطقة وعادة ما يكون عقيدة خاطئة أسسها رجل هرطقي ووصف بطرق مختلفة، فهو أيضاً مدعٍ كما قال عنه عصر التنوير).

لقد أبدى الأوروبيون في أجزاء عدة من القارة تردداً غريباً في تسمية المسلمين بأي اسم يحمل مدلولاً دينياً مفضلين نعتهم بأسماء عرقية، وهادفين بوضوح من خلال هذا إلى إضعاف اعتبارهم، وأهميتهم وتقليص دورهم في نطاق محلي أو حتى

عشائري، وقد اعتاد الأوروبيون في أوقات مختلفة وأماكن مختلفة أن يسموا المسلمين بالعرب أو المغاربة أو الأتراك أو التتار تبعاً للشعوب الإسلامية التي صادفوها[1].

ولعل ما قاله برنارد لويس ينطبق اليوم على معظم العالم الغربي وخاصة الأمريكي، فهم ينظرون إلى الإسلام على أنه عدو، لذلك يحاولون تشويه قرآنه ونبيّه وعقيدته. وعندما ننظر إلى أقوال زعماء العديد من الأحزاب الغربية حول الإسلام ندرك أن الحملة الإعلامية تتوسع وتتشعب كثيراً.

وزير الداخلية الفرنسي السابق شارل باسكوا يقول: بأن فرنسا لن تتسامح مع الأصوليين المسلمين الذين يهددون فرنسا واستقرارها.

آلان جوبيه وزير خارجية فرنسا يعلن في الجمعية العمومية بأن فرنسا لن تتهاون في ملاحقة الإنقاذيين (جبهة الإنقاذ وأنصارهم في الجزائر).

وفي إيطاليا يقول أومبرتو بوسي زعيم حزب الرابطة الشمالية الإيطالية: أرى العالم على قسمين، المدنية من جانب والهمجية من جانب آخر، الغرب المتحضر والإسلام، وقال إنه يرى خطراً كبيراً في انتشار الإسلام في كل أرجاء إفريقيا أما حزبه فيدعو إلى حملة قمع المهاجرين غير الشرعيين في إيطاليا[2].

ومرة أخرى يقول وزير داخلية فرنسا شارل باسكوا: إن بلاده تشهد نمو أخطار الإرهاب، وشدد على أن فرنسا العلمانية لن تقبل بأن يتم استغلال الضيافة الفرنسية للقيام بأعمال ضد القوانين الفرنسية ومبادئ الديموقراطية.

وفي رده على منع الحجاب الإسلامي في إحدى المدارس الفرنسية قال باسكوا: فرنسا هي دولة علمانية ولا ينبغي القبول بمميزات تستند على الدين وأضاف موجهاً كلامه للعائلات التي احتجت على هذا التدبير: وحين لا تحترمون القوانين في فرنسا فلديكم إمكانية الرحيل[3].

---

(1) برنارد لويس، الإسلام والغرب، ترجمة د. فؤاد عبد المطلب، اتحاد الكتاب العرب، 2007.

(2) نشرت أقواله في مجلة الساباتو في نهاية شهر 7 تموز من عام 1993.

(3) جريدة السفير اللبنانية، 24/ 11/ 1993.

ومن أشكال الحملات الإعلامية التشويهية أن في بريطانيا بيعت أحذية نسائية في مدينة بوسط بريطانيا عليها شهادة لا إله إلا الله محمد رسول الله، وقد كتبت باللغة العربية، وقال أحد المسلمين في نوتنغهام، إحدى ثلاث مدن تباع فيها الأحذية إن كتابة الشهادة على الأحذية أشد إهانة للمسلمين من تلك التي وجهها سليمان رشدي في كتابه السيئ السمعة (آيات شيطانية) وقد رفض صاحب المتاجر التي تباع فيها الأحذية منع بيعها بعد أن طلب منه الامتناع عن بيعها[1].

وقد ذكرت جريدة السفير بتاريخ 9/ 1/ 1993 أن أحد مقدمي البرامج في إحدى المحطات التلفزيونية قال على الملأ: العالم المتمدن والعالم الغربي ليست ضرورة فقط للاحتفاظ بشعور التفوق الحضاري في الغربية الأوروبية ولكن في خلق الحافز للعداء الطبيعي وغير المفكر به لهذا العالم الهمجي، والتبرير المسبق لكل ما يمكن للدول الكبرى أن تتخذه بحقه من إجراءات لا قانونية[2].

وتتخذ عملية الإقصاء في الغرب صوراً أخرى غير الصورة الإعلامية المباشرة، ومن المؤكد أن الإعلام والتصريحات السياسية من قبل المسؤولين الغربيين كانت مؤثرة جداً على الكثيرين من جماهير أوروبا.

من ذلك استمرار تنفيذ حظر الحجاب في فرنسا وفي الأماكن العامة تحديداً، وعلاوة على ذلك قررت الحكومة الفرنسية أيضاً منع المسيحيين واليهود من ارتداء الرموز الدينية، لكنّ هذا لم يكن له نفس التأثير مثل الذي حدث للمسلمين، ففي الوقت الذي ليس مفروضاً دينياً على المسيحيين أن يعلقوا الصليب أو على اليهود أن يضعوا القلنسوة التقليدية فإنه من المفروض على المرأة المسلمة تغطية رأسها، وبذلك فإن منع المرأة المسلمة من ارتداء الحجاب في الأماكن العامة يجعلها ترتكب الإثم

(1) الشرق الأوسط 18/ 4/ 1992.

(2) السفير، 9/ 1/ 1993.

ولهذا فإن القرار يتركها أمام خيار واحد هو البقاء في البيت، وهذا هو سبب احتجاج المسلمين بقوة ضد هذا الحظر[1].

وفي الدانمارك سن قانون يمنع الأطفال الدانماركيين العائدين من أبوين مهاجرين غير دانماركيين من الحصول التلقائي على الجنسية الدانماركية، وهكذا عندما يولد الطفل في الدانمارك على هذه الشاكلة فإنه ينبغي على الوالدين أن يتقدما بطلب للحصول على الجنسية لطفلهما مع العلم أنه يمكن رفض الطلب.

وفي سويسرا أقرّ المجلس النيابي منع بناء المآذن في كافة سويسرا، وقد شكّل هذا القرار فضيحة لسويسرا التي تضم أكثر مؤسسات هيئة الأمم المتحدة، وكذلك فإن المسلمين في سويسرا ليسوا كثيرين كما هم في ألمانيا وفرنسا، وهذا ما حدث في عام 2010، ومازال السويسريون مصرين على هذا القرار على الرغم من الموجات الاحتجاجية العارمة في العالم الإسلامي.

وحتى عامنا الحالي 2010 فإن الإحصائيات تشير إلى أن عشرات المجلات والمحطات والجرائد الغربية تعمل كل ما في وسعها لشن الحملة على الإسلام والمسلمين، وتقف الدوائر المشبوهة من صهيونية يهودية وصهيونية إنجيلية وخاصة في أمريكا وراء هذه الحملات، بل إن هذه الوسائل الإعلامية تسيطر عليها الأموال الصهيونية والأيدي العنصرية الأخرى، فحسب الإحصائيات المتوفرة فإن هناك حوالي 38 ألف مجلة في العالم، لكن المجلات الأكثر توزيعاً في العالم هي المجلات الأمريكية والغربية، فالمجلتان المعروفتان (التايمز والنيوزويك) توزعان أسبوعياً أكثر من عشرة ملايين نسخة لتعرّف قراءها على السياسة والثقافة الأمريكيتين، أما مجلة (ريدرز دايجست) فهي توزع ثلاثين مليون نسخة شهرياً وبسبع عشر لغة، وتعتبر أوسع المجلات انتشاراً إضافة لعشرات المجلات الأخرى، وجميع هذه المجلات تنفذ سياسة إعلامية معادية للإسلام والمسلمين، وتسيطر عليها دوائر الصهيونية بامتياز.

(1) عبد الرحمن فروجا، الإسلاموفوبيا ظاهرة تنمو في أوروبا، ترجمة محمد العالم، مجلة التواصل، العدد 14، 2007م.

وهناك في أمريكا عشرات المحطات التلفزيونية المحلية التي يشرف عليها مفكرو المحافظين الجدد تبث برامج توجيهية عنصرية، وخاصة للبروتستانت الذين يشكلون في أمريكا الأكثرية ويتحكمون بشؤون السياسة الداخلية والخارجية للولايات المتحدة.

ومن أمثال هؤلاء جيري فولويل، وسكوفلد وغيرهما، من قادة اليمين المحافظ، إضافة لذلك فإن الصهاينة في أمريكا يسيطرون على المحطات الفضائية الأمريكية مثل محطة CNN - CBS - ABC - NBC ويمتلك نيو هاوس وحده حوالي 12 قناة تلفزيونية و87 محطة محلية إذاعية و24 مجلة و46 صحيفة يومية، أما اليهودي روبرت ميردوخ فيمتلك أغلب استديوهات التصوير في هوليود[1].

مواقف الكنيسة الكاثوليكية الإيطالية من الإسلام والمسلمين:

في هذا العنوان حددنا الكنيسة الكاثوليكية بالإيطالية قاصدين من وراء ذلك الفصل بين المسيحية الحقة والمسيحية الغربية الكاثوليكية، وقاصدين أيضاً قصر تمثيل هذه الكنيسة للمسيحيين الكاثوليكيين خارج الوطن العربي، لأننا نعتبر أن المسيحية الحقة منبعها الشرق، فالمسيح عليه السلام نبي شرقي والعقيدة المسيحية الحقة انطلقت من فلسطين وسوريا، ومن المفروض أن تكون القدس وليست روما مركز المسيحية الروحي، ومن المفروض أن تكون المرجعية للمسيحية في مدينة القدس يتولاها رجال الدين المسيحي العرب وليس البابا الغربي.

لذلك سنرى أن مواقف الكنيسة البابوية في روما تجاه العرب والإسلام والمسلمين هو موقف عدائي بشكل عام مع استثناءات قليلة جداً.

وإذا عدنا إلى تسلسل أحداث العالم العربي خاصة بعد انهيار الدولة العباسية نرى أن الهجوم الأول من قبل الغرب على الوطن العربي كان بدافع من بابا روما،

---

(1) د. صلاح الدين الجعفراوي، الحملة الإعلامية الغربية على الإسلام، مجلة التواصل، العدد 7، أيلول، 2005.

وهذا الهجوم نطلق عليه الحروب الإفرنجية بينما يصرّ الغرب على تسميته بالحروب الصليبية، وفي هذا الإطار لابد من العودة إلى الوراء حتى نطلع على مواقف البابوات منذ تلك الحملات وحتى آخر بابا ـ أي إلى يومنا هذا.

من المتفق عليه أن الحملة الأولى لم تكن لتحدث لولا الشحن الديني البابوي ضد المسلمين، فأوروبا كانت تعيش في ظلام دامس في القرون الوسطى، وتعشش فيها التناقضات والتنافرات الطبقية خاصة بين الفلاحين والأقنان من جهة والنبلاء والملوك والكنيسة من جهة ثانية.

وباختصار فقد ألقى البابا أوريان الثاني في 26 تشرين الثاني 1095 خطاباً في الهواء الطلق أمام حشد كبير من الأساقفة والناس، ودعا فيه الكاثوليك إلى حمل السلاح لأجل الحرب ضد قبيلة الأتراك الفارسيين، الذين وصلوا حسب قوله إلى المتوسط وذبحوا وأسروا كثيرين من المسيحيين ودمروا الكنائس واجتاحوا مملكة الرب، أي الدولة البيزنطية وجاء في خطابه الموجه للفرسان: روحوا في الدرب المؤدي إلى القبر المقدس، انتزعوا هذه الأرض من الشعب الكافر، افتحوها لأنفسكم، وجاء فيه أيضاً: إن النصر على الكفار سيعود عليكم كذلك بمنافع أرضية محسوسة، الأرض هنا في الغرب لا تفيض بالثروات، أما هناك في الشرق فإنها تسيل لبناً وعسلاً، القدس إنما هي محور الكون. إن من لهم الحزن والفقر هنا في الأرض سيكون لهم الفرح والغنى هناك في السماء.

وكان البابا قد جمع الأساقفة بعد إلقاء خطابه وعهد إليهم أن يشنوا بكل قوة حملة وعظ من أجل الحروب الصليبية، وبقي البابا ثمانية أشهر في فرنسا وذهب إلى مدينتي ليموج وإنجيه وألقى خطابات أخرى دعا فيها إلى الحروب الصليبية، وعندما اشتدت نزعة الحرب على أيدي الأساقفة المتعصبين انتشر بين الأوروبيين القول بأن الحرب عمل رباني وليست عملاً إنسانياً، وكانوا يروون شتى الخرافات والسخافات عن الرؤى النبوئية وعن ظهور المسيح ومريم العذراء والرسل والقديسين، وعن العلامات السماوية التي تنبئ بمعركة المسيحيين المقبلة

ضد أتباع الإسلام، وقد جاء في خطابه: ويا للعار إذا ما انتصر مثل هذا الشعب الحقير المنحط عابد الشياطين على الأمة التي تعبد الرب، وتفخر بأنها مسيحية، أي لوم سيوجهه لكم الرب بنفسه إذا لم تجدوا الرجال الكافية الجديرة مثلكم بلقب المسيحيين.

وعندما مات أوريان الثاني تولى البابوية باسكال الثاني 1099 ـ 1118، وقد استمر على نهج سلفه بالنسبة للحروب الإفرنجية وقد طلب من الذين احتلوا القدس أن يكافئوا الكنيسة الكاثوليكية بصورة مناسبة لأنها هي التي كانت صاحبة المبادرة إلى الحملة الصليبية[1].

ومن جهة أخرى حاولت البابوية أن تفرض رقابتها على الممتلكات الجديدة للكنيسة الكاثوليكية وكان ممثلو الكرسي الرسولي يتوافدون سنوياً إلى الأرض المقدسة، وكان البابوات يتدخلون بواسطة رسلهم في انتخابات البطاركة[2].

ويؤكد الباحثون أن بين الحجاج المسيحيين عدداً لا يستهان به ممن ضلوا السبيل في الحياة، وقد قامت الكنيسة تستعيض أحياناً عن إعدام الذين اقترفوا الجرائم الجنائية بالحج المسلح إلى بيت المقدس فلينهبوا ويقتلوا هناك في أرض الميعاد في صالح الكثلكة[3].

وقد استمر البابوات في رعاية استمرار الحروب الإفرنجية، حتى أن البابا أوجين الثالث سنة 1147 أثناء اجتماع عام انعقد في باريس منح فرسان الاستباريين لباساً موحداً عليه صليب.

وقد ساهمت الكنيسة بصورة مباشرة، وبدافع المصلحة في تأسيس الجمعيات العسكرية الرهبانية وفي مصائرها لاحقاً. وكان على الجمعيات برأي باباوات روما أن تكري نفسها كلياً لقضية الدفاع عن المسيحية.

---

(1) ميخائيل زوبوروف، الصليبيون في الشرق، دار التقدم، ص124.

(2) المرجع السابق، ص151.

(3) المرجع السابق، ص157.

وقد منحت الباباوية جماعة فرسان الهيكل والاستباريين الكثير من الامتيازات سعياً منها لحمل الجمعيتين على خدمة أهدافها كلياً، ونظام الاستباريين الداخلي صادق عليه البابا باسكال الثاني سنة 1113.

وفي حزيران 1135 فرض البابا إينوشنتيوس الثاني في مجمع بيزا ضريبة سنوية دائمة في صالح فرسان الهيكل والاستباريين، كان ينبغي أن يدفعها جميع رؤساء الأساقفة والأساقفة ورؤساء الأديرة دون استثناء البابا نفسه.

وفي سنة 1139 أصدر البابا نفسه إينوشنتيوس الثاني مرسوماً نص على ألاّ يحق لأحد أن يطلب يمين التبعية من الأستاذ الأكبر للهيكليين ومن الرهبان الفرسان.. ولا يحق لأحد عدا البابا أن يحاكم عضو الجمعية ويفرض المنع على ملكه.

وفي عام 1144 قرر البابا اسيليستن الثاني أنه يحق للهيكليين أن يقيموا القداس مرة واحدة في السنة في المكان الذي لهم بيوت فيه حتى لو فرض المنع على هذا المكان.

وقد جدد البابا اسكندر الثالث الامتيازات التي وهبها سلفه، ومنح عدداً من الامتيازات الجديدة، ومنها السماح بامتلاك الهيكليين العقارات والضيع والاستثمارات، ويأتي ذلك كله في إطار موقف الكنيسة الكاثوليكية من استمرار الحروب الإفرنجية والاستفادة منها ومن إنتاجها المادي والتجاري.

وفي عام 1145 وفي شهر تشرين الثاني أُرسل رسل من القدس وأنطاكيا إلى بابا روما أوجينوس الثالث، ووصل إلى مدينة مينتربو الإيطالية أسقف جبلة وطلب اتخاذ تدابير كي تحمي (بسالة الإفرنج المظفرة) ممتلكات الكونتات والفيكونتات الشرقية من الاعتداءات الجديدة.

وفي كانون من عام 1145 وجه البابا أوجينوس الثالث مرسوماً بشن حملة صليبية ودعا فيه ملك فرنسا لويس السابع إلى النهوض للدفاع عن الدين والإيمان وطالب الباب بتجهيز القوات للانتقام من المسلمين ووعد المشتركين في الحملة بحماية الكرسي الرسولي التامة وغفران الخطايا والإعفاء من الأتاوى. وعلى أثر

ذلك قامت في الغرب حملة واسعة في صالح الحملة الصليبية تحت عنوان قبر السيد المسيح في خطر[1]. وتشير المصادر أن تحرير القدس على أيدي جيش صلاح الدين أصاب البابا أوربان الثامن بالجلطة أو السكتة القلبية ومات على أثرها وتولى بعده البابا غريغوريوس الثامن الذي أصدر مرسوماً بابوياً بتاريخ 29/ 10/ 1187 يدعو فيه إلى حملة صليبية جديدة، لم يدم العمر لهذا البابا فتسلم بعده البابا كليمنث الثالث. وتشكلت جيوش هذه الحملة بدءاً من سنة 1189 ـ 1192.

ومنذ عام 1198 تسلم سدة البابوية البابا إينوشنتيوس وقد استمر حكمه الديني حتى عام 1216. وفي زمنه بلغت البابوية قدراً كبيراً من الجبروت. وقد أسهم البابا نفسه في الكثير من التحركات الإفرنجية تجاه الحملات الموجهة إلى الشرق وقد بذل جهوداً جبارة لأجل بعث روح الحملات الصليبية القديم.

والواقع أن هذا البابا بمجرد انتخابه وجه نداء إلى الغرب دعا فيه إلى القيام بحرب مقدسة جديدة ضد المسلمين لأجل ما يُسمى تحرير القدس.

وقد استغل المشاعر الدينية ليصل إلى غايات سياسية، أهمها توسيع ممتلكات الكنيسة الرومانية في الشرق وتعزيز جبروت كاهنها الأول، حبرها الأعظم.

وقد أمر هذا البابا جميع الأحبار بكل صرامة بأن يطالبوا بمشاركة الكاثوليك في الحملة دون أي تردد أو أي شرط. وقد أعلن غفران الخطايا على أوسع نطاق لجميع المشتركين في الحملة الصليبية بموجب السلطة التي منحه إياها الرب.

ولأجل تأمين المبالغ النقدية الضرورية للحملة فرض في أواخر سنة 1199 ضريبة صليبية على رجال الدين.

وفي عام 1216 تسلم سدة البابوية البابا هو نوريوس حتى عام 1227 وقد واصل سياسة سلفه وسعى إلى تحقيق نواياه، وفي زمنه شُنت الحملة الصليبية

(1) ميخائيل زوبوروف / الصليبيون في الشرق/ ص 172.

الخامسة 1217 ـ 1221 ـ وهذه الحملة بعد فشلها في القدس توجهت إلى دمياط حيث أجرى الصليبيون مذبحة في هذه المدينة المصرية.

ومن المفارقات أن البابا غريغوريس التاسع البالغ من العمر 80 سنة 1227 ـ 1241 أعلن حرمان الملك فريدريك الثاني ملك ألمانيا، واعتبره خادماً لمحمد ولدينه بسبب انسحاه من القدس بعد اتفاقه مع الملك الكامل على تسلمها وظل الخلاف مع البابا متواصلاً وقد اتهمه بالخيانة لقبر المسيح. وأخيراً تصادمت قوات الكنيسة مع قوات فريدريك في إيطاليا وخسر البابا وجنوده المعركة.

ومنذ ذلك الوقت بدأ يتراجع نفوذ الكنيسة وسلطتها وبدأت تنكفئ الحملات الصليبية. وما إن حلت نهاية القرن الثالث عشر حتى طُرد الفرنج نهائياً من الأرض العربية.

إن ما نستخلصه هو أن الكنيسة الكاثوليكية في روما ظلت تقود الشعوب الغربية في حملات صليبية متلاحقة. ظاهرها حماية الأماكن المقدسة المسيحية وباطنها زيادة ممتلكاتها وثرواتها المالية ليس أكثر.

الكنيسة الكاثوليكية الحديثة:

لن نستعرض مواقف الكنيسة بشكل مفصل ومتسلسل لكننا سنتوقف عند باباوين: يوحنا بولس الثاني وبندكتس السادس عشر الحالي.

من جهتنا فإننا نرى أن الكنيسة بدءاً من يوحنا بولس الثاني راحت تتدخل بالشؤون السياسية الدولية بشكل علني، وأصبح البابا لا يألو جهداً في التدخل في كثير من شؤون العالم. وقد برز ذلك بشكل واضح لدى البابا بولس الثاني.

ساهم في البداية في سقوط النظام الشيوعي في بولندا مسقط رأسه وراح يمد نشاطه في السودان وأفريقيا برمتها.

وأهم ما يميز فترة سلطته أنه تساهل جداً في موقفه من العدو الصهيوني والعدوان على الأماكن المسيحية المقدسة، وكذلك الإسلامية في القدس وبيت لحم

وجرت عدة لقاءات بين ممثليه وممثلين صهاينة تمهيداً لإقامة علاقات مع العدو الصهيوني.

ويمكن أن نرصد موقف البابا والفاتيكان من الأحداث التي عصفت وتعصف بالمسلمين على مدى سنوات طوال.

في عام 1985 أعلن البابا يوحنا بولس الثاني أن الشرق الأوسط يمثل جزءاً من الاهتمامات الرئيسة للكرسي الرسولي. وأنه سيواصل البحث عن وطن لمنظمة التحرير الفلسطينية، ومن الواضح أنه يبحث عن وطن لـ م ت ف. بينما فلسطين هي وطن الفلسطينيين وهي ترزح تحت الاحتلال الصهيوني.

والبابا يأمل بمباحثات سلام في الشرق الأوسط التي ستُلحق باعتراف الفاتيكان بدولة الكيان الصهيوني، والحد من العداء المسيحي لليهود الذي دام حوالي 2000 عام، وقد أنشأ البابا لجنة ثنائية من ممثلي الكيان وممثلي الفاتيكان لبحث الخطوات القادمة للتعاون بين الطرفين.

ولعلنا لا ننسى زيارة البابا للقدس حين قال: إن المسيح من الشعب اليهودي. وأدخله الصهاينة إلى ما يسمى حائط المبكى ودس في الجدار ورقة لا ندري ماذا كتب فيها، ومنذ تلك اللحظات أصبحت العلاقات بين الفاتيكان والكيان الصهيوني طبيعية، ولعل البابا في زيارته فتح الباب أمام المسيحيين الكاثوليك كي يتصالحوا مع اليهود ويبرئوهم مما فعلوه بالسيد المسيح.

وقد جدد البابا بولس الثاني العلاقة بين الكنيسة واليهود بحيث أصبحت علاقة طيبة جداً وفوق العادة.

الكنيسة شعب الله في العهد الجديد. اكتشفت علاقتها بالشعب اليهودي الذي تحدث أولاً وذلك بالتنقيب في أسرارها الذاتية. وطالما اعتبر البابا المسيح يهودياً فإنه يفتح الباب للاعتراف بقدسية اليهود المزعومة.

في عام 1982 في شهر آذار عقد اجتماع المجلس الكنسي وأعلن فيه البابا وثيقة أصدرها الفاتيكان تعبيراً عن رأيه في القضية الفلسطينية. تؤكد الوثيقة على أن

تاريخ (إسرائيل) هو تاريخ متواصل وأن انتشار (إسرائيل) في الأرض شهادة تاريخية بطولية لثقتها بالرب وهي تحتفظ دائماً في قلبها بذكرى أرض الأحرار وأن وجود الدولة الإسرائيلية أمر تاريخي وهو علامة للتفسير في اتجاه واضح للرب.

وفي 1986 قام البابا بزيارة الكنيس اليهودي في روما وألقى كلمة فيه قائلاً: إننا يجب أن ننسى الماضي ونبدأ صفحة جديدة وإنه (أي البابا) يدين كل أساليب التفرقة السابقة والمواقف الخاطئة من اليهود من أي فرد كان. وأضاف: أكرر من أي فرد كان. وتركيز البابا على هذه الجملة الأخيرة يعني إدانته الضمنية لمن سبقوه من الباباوات منذ بداية الفيتو حتى إلغائه.

(وقد تمت زيارة البابا للمعبد اليهودي في روما في يوم الذكرى الأربعين لاحتلال فلسطين) وكان كل ذلك تمهيداً للزيارة التي قام بها البابا إلى فلسطين المحتلة وزيارة حائط البراق الذي يطلق عليه الصهاينة حائط المبكى. والتقى بالمسؤولين الصهاينة وأكد على الباطل الصهيوني في احتلال أرض فلسطين واعتبر ذلك حقاً لهم، وقبل أن ننتقل إلى الموقف البابوي من الإسلام والمسلمين بشكل عام لا بد أن نشير إلى أن البابا بندكتس السادس عشر، والذي خلف يوحنا بولس الثاني هاجم الحضارة الإسلامية والمسلمين فقال في إحدى خطبه: لم تقدم الحضارة الإسلامية شيئاً مفيداً للبشرية.

وقد أصدرت الكنيسة قرارات عدة ضد المهاجرين المسلمين إلى إيطاليا وأقل ما فيها أنها فرضت على المرأة الإيطالية أن تعقد قرانها بإشراف الكنيسة. والكنيسة بدورها تحد من زواج المسلم بالإيطالية، وقد عبرت الكنيسة عن قلقها بسبب كثرة الزيجات التي حدثت بين رجال مسلمين وإيطاليات.

موقف البابا والكنيسة الكاثوليكية في روما من الإسلام والمسلمين:

إضافة للتصريحات البابوية والبيانات التي تصدر علناً عن الفاتيكان فإن هناك أموراً لا تظهر للعلن، وهي تتسرب بأسلوب أو بآخر منها بعض الكتب وبعض المنشورات الأخرى الخاصة بالفاتيكان.

في عام 1966 تحدث كتاب عن جلسات للكرادلة برئاسة البابا لإعلان موقف الكنيسة من الديانات الأخرى وعلاقتها معها. و قد رتبوا الدين الإسلامي بعد الهندوسية والبوذية.

وقد جاء في الكتاب على لسان الأب كاسبار[1]: إن دراسة الإسلام في هذا المجمع لم تطرح إلا بشكل عرضي وغير متوقع. ويقول كاسبار نقلاً عن القساوسة: إن الإسلام خطأ مطلق لابد من رفضه لأنه يمثل خطراً بالنسبة للكنيسة ولابد من محاربته. ويوضح كاسبار أن كل محاور المناقشات الجانبية للمجمع تدور حول كيفية الإحاطة وكيفية الاستحواذ على الإسلام وامتصاصه وإذابته داخل المسيحية.

وقد صُرح أكثر من مرة من قبل البابوات أن هناك مسلمين وليس هناك إسلام وإلى هذه اللحظة فإن الكنيسة ترفض الاعتراف بالإسلام كدين وترفض الاعتراف برسالة النبي محمد (ﷺ) وترفض الاعتراف بأن القرآن كتاب سماوي.

وليست مؤتمرات الحوار الإسلامي المسيحي سوى ذر الرماد في العيون. فهي لا تناقش جوهر الأشياء وخاصة الاعتراف بالآخر وعقيدته وخاصة من الطرف المسيحي الفاتيكاني.

ونختم هذا المبحث بما جاء على لسان البابا بندكتس السادس عشر بتاريخ 12 أيلول 2006. وقد اقتبس ما قاله من قولٍ لمنويل الثاني أمبراطورروما في القرون الوسطى (إن الإسلام انتشر بحد السيف). وقد أثارت هذه الكلمة جموع المسلمين في العالم مما دفعه لزيارة تركيا، ودفعه باتجاه انضمام تركيا للاتحاد الأوروبي.

كيف ينظر الغرب العلماني للمسلمين وقضاياهم:

إذا أردنا أن نتوسع في الإجابة على هذا السؤال نستطيع أن نضع من أقلامنا سيلاً من الحديث الذي لا ينتهي، فمواقف الغرب عديدة ومتنوعة ومتشعبة وهي

(1) كاسبار: هو أستاذ علم الدين الإسلامي في المعهد البابوي للدراسات العربية في روما. وكان عضواً في اللجنة المختصة بالبحث في الحوار مع المسلمين. ومناقشة عقيدة الإسلام.

قضايا سياسية وجغرافية واستعمارية وهي قديمة قدم هذا التدافع بين الشرق والغرب.

لن تتحدث مثلاً عن الذين تآمروا على شعب فلسطين وطردوه من أرضه عام 1948 وأقاموا الكيان الصهيوني، ولن تتحدث عن تقسيم الوطن العربي إلى دول وإمارات ولن تتحدث عن أيدي الغربيين الملوثة بدماء العرب والمسلمين من المحيط إلى الخليج، ولن تتحدث عما قام بها الأميريكيون من غزو للعراق وأفغانستان وتدخلاتهم السافرة في الصومال واليمن وغيرها وغيرها.

لكننا في هذا الإطار نتحدث عن القضايا الفكرية والنفسية والعنصرية التي يختلقها الغرب ضد العرب والمسلمين، وخاصة بعد الحادي عشر من أيلول.

كيف عمم الغرب مفهوم الإرهاب فأصبحنا لا نعرف الإرهاب من المقاومة؟.

لماذا مُنع الحجاب من المدارس والجامعات الأوروبية؟.

لماذا منع بناء المآذن في سويسرا؟.

لماذا يشن السياسيون حملاتٍ إعلامية قاسية على الإسلام والمسلمين وخاصة المهاجرين إلى أوروبا لماذا تقوم الصحافة والمحطات بشن الهجوم تلو الهجوم على قيم الإسلام والمسلمين؟.

ماذا تقول لنا الحيثيات والوقائع؟

نعتقد أن الغرب ومنذ أن ضعف العرب والمسلمون رسخ في ذهنه نظرة الاستخفاف لكل عربي ولكل مسلم وبنى عليه مواقفه، فأصبحت أقرب إلى العنصرية العرقية والدينية. وليس ما يشنه الغرب من تلك الحملات الإعلامية أمراً مستحدثاً، فهو قديم ولكن شراسته ازدادت وتوسعت وأصبحت نوعاً من الجنون الإعلامي العنصري، وتأكد ما قاله كبار زعماء الولايات المتحدة وبعض الدول من أن العدو اليوم هو الإسلام الذي استُبدل بالشيوعية. فبعد انهيار الشيوعية راحوا يفكرون كيف يصنعون عدواً للغرب فلم يجدوا سوى الإسلام والمسلمين. ومن هنا ربط الغرب الإرهاب بالإسلام وراح يشن حملاته العسكرية والإعلامية على

المسلمين تحت ظل هذا الشعار. ولم يعترف الغرب بمقاومة الشعوب العربية والمسلمة على أنها حق مشروع كما أقرته القوانين الدولية، بل وضعه تحت قائمة الإرهاب والعنف وقد مسخ التفكير الأمريكي العالم كله إلى صنفين، صنف يجب ان يكون مع أمريكا، وآخر يجب أن يكون ضدها. وهكذا قسّم العالم إلى مجموعتين. لقد قال بوش (إما أنكم مع أمريكا أو مع الإرهاب والإرهابيين).

ورافق ذلك حملات عنصرية فجة أخطرها وسائل الإعلام التي تحرض وتحض الشعوب الغربية بحقن الحقد والحرب على الإسلام.

فبوش نفسه عندما كان في الحكم قال (إنها حرب صليبية جديدة) وكان يعني ما يقول وكل إناء بما فيه ينضح.

وهنتنغتون صاحب صدام الحضارات وصف الصراع مع المسلمين (بأنه حرب الحضارة ضد البربرية).

رصد لمواقف الغرب من الإسلام والمسلمين:

1 ـ نشر الرسوم الساخرة التي أساءت لشخص رسول الله (ﷺ) والتي نشرت في الدانمارك وفي صحيفة بولندس بوستن. وقد فتحت هذه الصحيفة الباب لعدد من الصحف والمجلات التي أعادت نشر هذه الصور المسيئة جداً، وتحت شعار حرية التعبير راح المسؤولون الغربيون يدافعون عن الصحيفة والصحف التي نشرت الرسوم.

وقد ظن الغربيون أن هذه المواربة وهذا النفاق ينطليان على المسلمين، ولم يدركوا أن دفاعهم عن مثل هذه الإساءات تعبير عن حقدهم على الإسلام والمسلمين وخاصة حقدهم على نبي العالمين محمد (ﷺ).

2 ـ حظر الحجاب في الأماكن العامة في فرنسا، والتضييق على الطالبات الجامعيات وكذلك في الصفوف الثانوية والإعدادية لمنعهن من ارتداء الحجاب داخل هذه المدارس، وقد أثارت قرارات الدولة في فرنسا اليمين الفرنسي المتطرف كي يزيد

من تحركه ضد المسلمين، وقد امتد التأثير إلى دول أخرى في أوروبا كي تصدر بعض القوانين المشابهة لمنع الحجاب في المدارس والمرافق العامة.

3 ـ سن الغرب حملة تشويه للإسلام والمسلمين في جميع وسائل الإعلام الغربية وخاصة الأمريكية، بحيث لم يبقَ أي قيمة ثقافية أو دينية أو حضارية إلا هاجمتها وحاولت التشكيك بها، ولعل أخطر جوانب هذه الحملة هو سعيُها لربط ما يسمى بالإرهاب بالمسلمين عامة، بل إن بعض الساسة الأوروبيين ذهب إلى اتخاذ الإسلام عدواً بدل الشيوعية وبسبب ذلك تعرض المسلمون للمضايقة، من مراقبة المساجد إلى رصد التحركات إلى تسجيل المكالمات ووضع الكاميرات على المنازل والأماكن الإسلامية الخاصة.

4 ـ سنت الحكومة الدانماركية قانوناً يمنع الأطفال الدانمركيين العائدين إلى أبوين من أصل عربي أو مسلم غير دانماركي من الحصول على الجنسية الدانماركية، وهكذا عندما يولد طفل في الدانمارك لوالدين غير دانمركيين فإنه ينبغي على الوالدين أن يتقدما بطلب للحصول على جنسية لطفلهما مع العلم أنه يمكن رفض الطلب.

5 ـ أصدرت الحكومة السويسرية قراراً بإلغاء بناء المآذن في جميع أنحاء سويسرا بعد أن أجرت استفتاء صُوِّت به على هذا القرار، وهو يعني إلغاء بناء المساجد لأنهم يعرفون أن المساجد تحتاج لهذه المآذن لأجل رفع الآذان، ولأنه رمز من أهم رموز المسجد، وبعد صدور هذا القرار راحت بعض الدول الغربية تعلن أنها تؤيد خطوة سويسرا على اعتبار الخطوة جاءت نتيجة استفتاء شعبي، ولم تُفرض فرضاً، ويعتبر هذا القرار تطاولاً على المشاعر الإسلامية وتحدياً صارخاً للمسلمين وانتهاكاً لكافة الشرائع والقوانين الدولية الرامية إلى احترام حقوق الإنسان وكرامته وحقه في ممارسة شعائره الدينية.

الحجاب عدو الفرنسيين:

هل فعلاً يشكل الحجاب عدواً للفرنسيين، أم أن العداء للإسلام باعتباره الدين الذي فرض الحجاب وجعله جزءاً أساسياً من الشريعة؟.

إذا لم تضع المسيحيّة صليباً على صدرها لا تخرج عن عقيدتها فهو رمز، وليس عقيدة، وليس تشريعاً، إذا لم يضع اليهودي القلنسوة على رأسه لا يخرج عن دينه، أما إذا رفعت الفتاة المسلمة الحجاب وسارت في الطريق أو الجامعة من دونه فإنها تخالف أساساً من أسس دينها.

وبدأت القصة منذ زمن بعيد في فرنسا ولكنها في شهر حزيران من عام 2009، أخذت منحى آخر، حيث طرح الرئيس الفرنسي ساركوزي قانون منع الحجاب أمام البرلمان الفرنسي وصوت الأغلبية مع المنع.

وتمهيداً لهذا الغرض ـ أي فرض منع الحجاب في فرنسا ـ قام عدد من وزراء ساركوزي بالهجوم على الحجاب واتهموه بأنه يهدد الطبيعة العلمانية للجمهورية الفرنسية ووصل الهجوم إلى حد تشبيه الحجاب بالتابوت القاتل ثم وصفوه بالمرعب وكذلك كرمز للإهانة.

من أبرز الذين هاجموا الحجاب الوزيرة المكلّفة بشؤون المدينة في الحكومة الفرنسية (فضيلة عمارة) وهي جزائرية الأصل، فقد وصفت الحجاب بالتابوت الذي يقتل الحريات الأساسية وقد أكدت دعمها للقانون الذي يمنع الحجاب من الحياة العامة في فرنسا، ودعت إلى ضرورة القيام بكل ما يلزم من أجل إيقاف انتشار ارتداء الحجاب في فرنسا.

وقالت هذه الوزيرة: أنا مع المنع القطعي لارتداء الحجاب في وطني فرنسا.

وانضمت إلى هذه الوزيرة وزيرة أخرى وهي وزيرة الدولة الفرنسية المكلفة بالأسرة (نادين مورانو) حيث دعت إلى ضرورة فتح نقاش حول الحجاب. وقالت مورانو: بأنها كامرأة مصدومة من الحجاب، وأضافت: عندما أرى البرقع أحس بأنه رمز من رموز الإهانة للمرأة.

أما وزير التربية كازافيه داركو، فقد وصف الحجاب بأنه شكل من أشكال العبودية، وأضاف: تخيلوا لثانية فقط أن فتاة تذهب إلى المدرسة الفرنسية وهي ترتدي البرقع، هذا هو الرعب بالنسبة لي وهذا مرفوض رفضاً قطعياً.

وشكّل الوزير الفرنسي المكلّف بشؤون المهاجرين (إيريك بيسون) خطاً موازياً للوزراء الرافضين ارتداء الحجاب في فرنسا، حيث قال بأنه ليس من الضرورة بعث نقاش حول هذه القضية، واصفاً الأمر بغير المجدي، مشيراً إلى أن الأمر قد حُسم على مستوى المدارس وأماكن العمل حيث يمنع ارتداء الحجاب داعياً إلى غض الطرف عن الحجاب في الشارع معتبراً حرية ارتداء الحجاب في الشارع قاسماً مشتركاً ومشجعاً للعيش المشترك بين الفرنسيين من مختلف الأديان والأصول.

وأضاف بيسون بأن فرنسا وجدت بعض التوازن في القرار القديم الذي يمنع الحجاب في المدارس والمؤسسات، ويغض الطرف عنه في الشارع، وفي السياق نفسه حّذر من اتهام الحجاب وتحميله ما هو ليس من مسؤوليته، إنه من الخطر أن نتهم الحجاب بما ليس فيه بعد أن وجدت فرنسا توازناً وعيشاً مشتركاً داخلياً.

والرئيس ساركوزي من أشد الداعين إلى الحفاظ على علمانية فرنسا في مناحي الحياة وهو الذي قاد حملة وطنية لمنع الحجاب في المدارس وفي المؤسسات العمومية، ويعمل على نقل المعركة إلى الشارع من أجل إلغاء الحجاب نهائياً من حياة الفرنسيين.

وحين نقل ساركوزي القانون إلى البرلمان كان يدرك أنه سيفوز على اعتبار أن غالبية النواب من حزبه.

وقد اقترح برلمانيون فرنسيون استعدادهم لمناقشة قانون الرئيس فيما ذهب آخرون إلى اقتراح تشكيل لجنة تحقيق في الدعاوى القائلة بخطر الحجاب على الهوية الفرنسية، ويقف وراء هذا الاقتراح 60 نائباً يتقدمهم النائب الشيوعي أندريه جيران.

وقد أكد الناطق باسم الحكومة الفرنسية (لوك شاتل) بأن طرح قانون منع الحجاب للنقاش والتصويت لصالحه بات ضرورياً وحجة ملحة بالنظر إلى تصاعد ظاهرة المحجبات في فرنسا حيث قال: هناك نقاش حقيقي ينتظر فرنسا حكومة ونواباً، ولم يُبدِ لوك شاتل أي اعتراض على التصويت لصالح قانون منع الحجاب قائلاً بأنه إذا اتضح بأن ارتداء الحجاب يتعارض مع المبادئ الجمهورية للدولة الفرنسية فإنه من الطبيعي أن يتخذ النواب القرار المناسب.

وأخيراً صوت لصالح المنع 494 مقابل 36 رفضوا القانون[1].

والواقع إذا ما تم تطبيق القانون فستكون الطالبات المسلمات ضحاياه وهن يوضعن بين خيار الدين والتعليم، فاللواتي يفضلن الدين سيتركن المدرسة، وهذا ما يحرمهن من فرصة التطور التي يوفرها التعليم فقط[2].

ونتيجة لمثل هذه الضغوطات فقد استبعدت تلميذات مسلمات من بعض المدارس، وقد عززت الأصوات التي تنادي بالمنع مخاوف مستترة من الإسلام والمسلمين، ومن الغريب أن نرى نائبات فرنسيات من أصل جزائري إسلامي ينضممن إلى قانون المنع، وكذا بعض الكاتبات والفنانات الجزائريات.

ومن هؤلاء مثلاً الكاتبة سمير بليل 30 عاماً، فقد انضمت إلى الحملة ضد الحجاب في المدارس وهي تقول: إن آخر شيء تحتاجه الفتيات المسلمات هو حرمانهن أكثر، وأضافت: إنني أكافح من أجل حرية الاختيار الشخصي فمهما كانت هويتك، سواء مسلمة إفريقية جزائرية فرنسية، فجميعنا نستحق العيش في ظل التكافؤ الذي يكفله القانون في بلد مثل فرنسا نعتز بعلمانيتها.

وبعد صدور القانون قال وزير التعليم الفرنسي: إن نحو مائة فتاة مسلمة مازلن يرفضن الالتزام بالحظر الجديد على غطاء الرأس الإسلامي في المدارس الحكومية.

وقال الوزير فرانسوا فيلو: إنه يتم بذل كافة الجهود لإقناع الفتيات بالإذعان للقرار، وأضاف: إذا استمرت الفتيات في الرفض فلن يكون أمام مديري المدارس من خيار إلا طردهن.

في هولندا ـ التحريض على كراهية الإسلام والمسلمين:

في عدة مناسبات استمر النائب الهولندي خِيْرتْ فيلدرز على توجيه الانتقادات للإسلام كدين وللمسلمين في هولندا، وطالب بمنع دخولهم للبلاد، كما

---

(1) شبكة الإنترنت.

(2) بربارا شولتيه، دويتشه فيلله، 2004، ترجمة نبيل شبيب.

أنتج فيلماً بعنوان (فتنة) عرض فيه هولندا كدولة إسلامية سيسيطر عليها المتطرفون الإسلاميون، وفي نهاية الفيلم يظهر وهو يمزق أوراق كتاب. قال في تصريحات سبقت الفيلم إن هذا الكتاب هو القرآن.

والنائب فيلدرز يتزعم حزباً يمينياً اسمه هولندا الحرة ولديه في البرلمان 9 مقاعد من أصل 150 مقعداً في انتخابات عام 2006 ويبلغ من العمر 46 عاماً.

وأثناء محاكمته قال: إن رأيه بالإسلام هو حقيقة، وادعى أن ما قاله هو رأي الملايين من الهولنديين.

وفيلدرز من المحابين للكيان الصهيوني وقد زار فلسطين المحتلة أكثر من مرة، وكان دوماً يحذر الهولنديين من تعاظم خطر الإسلام على بلادهم إذا بقي وجودهم من دون تقنين خاص يهدف في النهاية لإنهاء وجودهم في بلادهم، وكان قد طلب قبل عام بفرض غرامة مالية على المحجبات تصل إلى ألف يورو.

مسلمو أمريكا بعد 11 أيلول:

كانت أحداث الحادي عشر من أيلول الستارة الرقيقة التي كشفت بالكامل عداء الولايات المتحدة الأمريكية للإسلام والمسلمين.

ومن يقلْ إن المسلمين كانوا بأمان وحرية كاملة في أمريكا فإنه يخادع نفسه، فالولايات المتحدة صورة أخرى للكيان الصهيوني من جوانب عدة، وأهم ما يمكن قوله هنا: إن التحالف الصهيوني الأمريكي ليس فقط تحالفاً عسكرياً وإستراتيجياً إنما تحالف ديني عقدي، ويمثل الطرف البروتستانتي الأمريكي القوة الكبرى في هذا التحالف مع الصهيونية والكيان المحتل.

ويمكن القول: إن هناك ثلاثة مخاطر رئيسة تواجه مسلمي أمريكا منذ 11 أيلول:

1 ـ اتساع دائرة العنف الشعبي الموجه لمسلمي أمريكا بما فيهم العرب.

2 ـ التسرع في إصدار قوانين مقيدة للحريات.

3 ـ التمييز العرقي عند تطبيق القانون.

فمن الواضح أن العنف الشعبي الموجه لمسلمي أمريكا اتسع وازداد، وذلك انتقام أمريكي شعبي بسبب الشكوك المثارة بشأن هوية مرتكبي الجرائم الإرهابية وقد رصد مجلس العلاقات الإسلامية الأمريكية كير أكثر من 400 حالة من حالات الاعتداء على المسلمين والعرب في أمريكا، وقد وقعت في الأسبوع التالي للحوادث الإرهابية وهو ما يفوق تقريباً عدد حالات الاعتداء التي رصدها المجلس في العام الماضي بأكمله والتي بلغ عددها 366 حالة.

وتعود الزيادة في عدد حالات الاعتداء التي رصدها المجلس إلى اتساع يقظة المسلمين والعرب الأمريكيين أثناء الأزمة التي حدثت بعد الحادي عشر من أيلول، لأن المسلمين صاروا يبلّغون عن حالات الاعتداء حتى لا تمرّ، دون وقفة أمامها ومحاولة منهم لتنبيه الرأي العام الأمريكي لما يتعرض له المسلمون والعرب من تمييز داخل المجتمع الأمريكي، وهذا كله يعبر عن حجم الضغوط المستمرة التي يتعرض لها العرب والمسلمون، ومن المؤكد أن حالات الاعتداء تفوق الواقع، ولا تعد الاعتداءات الظاهرة إلا جزءاً من مجموع ما يتعرض له المسملون والعرب، ويتضح من المعطيات الواردة أن نسبة العنف المتضمن في تلك الاعتداءات في تزايد ملحوظ إذا قارناه بالاعتداءات التي يرصدها مجلس العلاقات الإسلامية الأمريكية (كير)، وقد بلغت حالات التمييز 37٪ منها مثلاً: رفض الأمريكيين غير المسلمين السماح لمرؤوسيهم من المسلمين بتأدية فروضهم الدينية كالصلاة إن كانوا موظفين أو طلاباً، وقد تم رصد ثلاث حالات قتل و60 حالة اعتداء على مساجد، و40 حالة من حالات الاعتداء الجسدي على المسلمين والمسلمات في الطرقات، ولا أحد يستطيع التنبؤ بحدود أو نهاية العنف الذي يجري ضد المسلمين والعرب في أمريكا.

ولعل حدة الغضب الشعبي غير المسبوق على مرتكبي حوادث 11 أيلول والرغبة العارمة في الانتقام منهم هي أخطر المظاهر التي أنتجتها أحداث 11 أيلول. ذلك أن الرأي العام الأمريكي الغاضب أصبح قابلاً لأي سياسات قد تشعره

بالانتقام حتى لو انتقصت من حرياته، حيث يشير استفتاء لتوجهات الرأي العام أجرته جريدة واشنطن بوست بالتعاون مع وكالة أي بي سي أن 66٪ من الأمريكيين أبدوا استعدادهم للتضحية ببعض الحريات المدنية من أجل محاربة ما يسمى بالإرهاب، وترتفع هذه النسبة إلى 74٪ في استفتاء آخر أجرته جريدة نيويورك تايمز بالتعاون مع وكالة سي بي إس.

التسرع في إصدار قوانين مقيدة للحريات:

يشكل الرأي العام الأمريكي الغاضب والراغب في الانتقام أحد أهم قوى الضغط المؤثرة في صانع القرار الأمريكي، وتنعكس ضغوطه على سلوكيات الحكومة والكونغرس والأجهزة التشريعية.

1 ـ أعلن وزير العدل الأمريكي جون أشكروفت عن إرساله في 19 أيلول مشروع قانون يسمى قانون التعبئة ضد الإرهاب إلى الكونغرس الأمريكي يطالب فيه بمنح قوات التحقيق الفيدرالية مزيداً من السلطات لتعقب المشتبه بهم، وطالب آشكروفت الكونغرس بعدم التباطؤ في تمرير تلك القوانين.

وهذا القانون يركز على منح المباحث الفيدرالية مزيداً من السلطات والموارد للتوسع في النواحي التالية:

1 ـ التوسع في تعريف السلوك الإرهابي ليشمل بعض السلوكيات مثل: إرسال الأموال لمنظمات إرهابية، والتوسع في تعريف الضالعين في أعمال الإرهاب ليشمل الأفراد الذي ساعدوا عن علم أو غير علم.

2 ـ التوسع في التنصت الهاتفي والإلكتروني.

3 ـ مراقبة التجمعات الجماهيرية اليومية وتسجيل صور المشاركين فيها وخصائصهم في قواعد معلوماتية ضخمة ومقارنتها بصور المشتبه بهم.

4 ـ الحفاظ على سرية الأدلة التي يتم على أساسها القبض على المشتبه بهم، والتحقيق معهم وخاصة في قضايا الهجرة.

5 ـ التعقب والقبض والترحيل للمهاجرين المقيمين بصفة غير قانونية في أمريكا دون أدلة معلنة ودون المرور بالمسار القضائي العادي لأن هؤلاء المهاجرين (حسب الرأي القضائي الأمريكي) أكثر استعداداً للقيام بسلوكيات تضر بالأمن القومي الأمريكي أو تسهيل مثل هذه السلوكيات.

وحتى قبل أحداث 11 أيلول وتحديداً في عام 1996، صدرت بعض القوانين وتضمنت بنوداً سمحت للسلطات الفيدرالية باحتجاز المشتبه بهم على أساس من دليل سري غير معلن لمدة مفتوحة، وقد طبق هذا القانون بشكل تمييزي ضد العرب والمسلمين المهاجرين.

التمييز العرقي عند تطبيق القانون:

إن مسألة التمييز العرقي عند تطبيق القانون كانت في صلب التوجه الأمريكي ضد العرب والمسلمين، وقد لعب الإعلام الأمريكي المدعوم والمسيس صهيونياً دوراً رئيساً في العداء ضد العرب والمسلمين في الولايات المتحدة، والواقع أن الإدارات الأمريكية كانت ومازالت أكثر استهانة بحقوق المهاجرين العرب والمسلمين، وكل ذلك تجعل تمييز السلطات الأمنية ضد المسلمين والعرب حقيقة موجودة، ومن الواضح أن قوائم المنظمات التي تمثل تهديداً إرهابياً للأمن الداخلي في أمريكا تضمن جماعات من خلفيات عرقية ودينية مختلفة.

وعلى الرغم من ذلك يُعتبر قلق المسلمين والعرب في أمريكا من تزايد تمييز السلطات الأمنية ضدهم مبرراً لعدة أسباب، منها الإعلام الأمريكي المنساق خلف الصهيونية ودعاياتها، ووجود عدد من التنظيمات العنصرية الأمريكية مثل منظمة كوكلوكس كلان وجماعة متشغن المسلحة، وغيرهما من المنظمات المتطرفة العنصرية التي تهدد العرب والمسلمين باستمرار.

والواقع أن لدى العرب والمسلمين مخزوناً من الشعور بالخوف في أمريكا من التمييز العنصري كون الولايات المتحدة تحفل بتاريخ أسود من التمييز العنصري ضد الأفارقة والملونين منذ أكثر من ثلاثة قرون.

التحالف الغربي الصهيوني ضد المسلمين:

لاشك أن التحالف الغربي الصهيوني ضد العرب والمسلمين قديم ومستمر فلا يصدقّن أحد أن يتخلى الغرب عن دعمه للكيان الصهيوني وهو الذي أوجده وقوّاه ومدّه بكل ما يتفوق به على العرب والمسلمين.

ويظهر هذا التحالف في حالات الحرب والسلم والمفاوضات وما إلى ذلك، وتظهر التحالفات الغربية الصهيونية في عدة اتجاهات.

1 ـ التحالف الغربي الصهيوني أيام الحروب والأزمات التي تحدث بين الكيان الصهيوني والفلسطينيين والعرب والمسلمين.

2 ـ التحالف في الأمم المتحدة: ويظهر ذلك من خلال مواقف مجلس الأمن الدولي ومؤسسات هيئة الأمم المتحدة المعادية لحقوق العرب والمسلمين.

3 ـ التحالف الغربي الصهيوني ضد العرب والمسلمين المهاجرين في أوروبا وأمريكا.

4 ـ التهديد المستمر لبعض الدول العربية والإسلامية من قبل الدوائر الصهيونية الغربية المشتركة في أهدافها وغاياتها.

5 ـ تغاضي الغرب عن جرائم الكيان الصهيوني بحق الأرض الفلسطينية والإنسان الفلسطيني والعرب والمسلمين بشكل عام.

6 ـ التعاون الإعلامي الغربي الصهيوني لشن حملات التشويه والتعريض بالعرب والمسلمين ومقدساتهم وحقوقهم.

إذا عدنا إلى الوراء مئة عام نرى أن الغرب هو من اخترع المشروع الصهيوني واحتلال فلسطين، ولم يكن بمقدور الحركة الصهيونية ـ ولو جمعت كل اليهود ـ أن تقيم دولة على أرض فلسطين، فبريطانيا أولاً هي صاحبة المشروع الصهيوني وهي التي نفذته، ثم جاءت فرنسا وأمريكا لتتبنيا هذا المشروع. وعند احتلال فلسطين عام 1948 سلمت بريطانيا العدو الصهيوني كل ما كان لديها من أسلحة ومعدات كانت موجودة في المعسكرات والمخازن الإنجليزية في فلسطين.

بعد أن حدثت النكبة وأعلن قيام الكيان اعترفت دول الغرب مباشرة به وضربت عرض الحائط بحقوق المسلمين والمسيحيين في فلسطين.

ثم شنت بريطانيا وفرنسا والكيان الصهيوني العدوان الثلاثي على مصر، ووقف الغرب إلى جانب الكيان، يستخدمه في شن العدوان وتهديد الأمن القومي العربي والإسلامي، ثم شن العدو الصهيوني عدوانه في الخامس من حزيران 1967، وكانت الولايات المتحدة على علم به فقامت بدعم الجيش الصهيوني بالطائرات والطيارين وكافة أنواع المدد.

في عام 1973، نقلت أمريكا من مستودعاتها في أوروبا كافة أنواع الأسلحة دعماً للعدو الصهيوني، وقد عُرف في حينها بالجسر الجوي الذي لم ينقطع.

في عام 1982 شن العدو حرباً على لبنان لإنهاء منظمة التحرير الفلسطينية فأباد من السكان من أباد وارتكب الجيش الصهيوني بالتعاون مع القوى الانعزالية مجزرة صبرا وشاتيلا، وفي داخل فلسطين ارتكب مجازر في الخليل ونابلس والحرم القدسي الشريف وغزة، ثم شن عدوانه على لبنان عام 2006، وارتكب المجازر بحق المدنيين في الضاحية الجنوبية وفي قرى الجنوب، ثم شن عدوانه الوحشي على غزة سنة 2009.

وفي هذه الحروب جميعها كان يلقى الدعم غير المحدود من أمريكا والغرب عموماً ولم يصدر أي موقف غربي يُدين اعتداءاته.

أما في مجلس الأمن وهيئة الأمم فإن الدول الغربية وقفت دوماً بوجه أي قرار يُدين الكيان الصهيوني، فإما يعترضون بما يسمى (الفيتو) الرفض، وإما يمتنعون عن التصويت وتفشل كافة اجتماعات مجلس الأمن التي عقدت لبحث العدوان الصهيوني دون جدوى، وقد عملت أمريكا والغرب بكل جهودها على إلغاء قرار هيئة الأمم المتحدة بمساواة الصهيونية بالعنصرية، وبقيت حالات العدوان الصهيوني تتكرر ويتكرر معها دعم الغرب وعدم الإدانة.

ومنذ قيام الكيان ظلت الولايات المتحدة ومعها الغرب يدعمون الكيان الصهيوني بكل المحافل الدولية وبكل المواقف المعادية للعرب والمسلمين.

وقد وضح تماماً أن الغرب يعيش النفاق السياسي علناً وباطناً ويعلنها صراحة أن أمن الكيان فوق كل الاعتبارات.

إلصاق الإرهاب بالفلسطينيين بدعة أمريكية صهيونية:

من خلال التحالف الإستراتيجي بين العدو الصهيوني والولايات المتحدة اخترع الطرفان ما يُسمى الإرهاب الإسلامي، فأمريكا تضع المقاومة الفلسطينية في دائرة الإرهاب تعبيراً عن الترابط بينها وبين العدو الصهيوني، والكيان الصهيوني يدعم الولايات المتحدة في موقفها من المقاومة العراقية والأفغانية وغيرها من المقاومات في العالمين العربي والإسلامي.

وقد لعب الإعلام الأمريكي المسيطر عليه من قبل الصهاينة دوراً بارزاً في إلصاق الاتهام بالفلسطينيين على أنهم إرهابيون، تماماً مثلما تلصق أمريكا تهمة الإرهاب بكل حركة ثورية عربية أو إسلامية تكافح وتناضل من أجل حرية بلادها.

وقد استغل الإعلام الصهيوني الأحداث التي شهدتها الولايات المتحدة استغلالاً خطراً وشريراً، ونظراً لامتلاكه منظومة إعلامية عالمية متكاملة، فقد نجح بإلحاق أكبر الضرر بالإسلام والمسلمين بحيث اقترب من إعادة تشكيل الرأي العام العالمي على النحو الذي يريده.

وقد راحت أبواق العداء ضد العرب والمسلمين تشن أكبر حملة إعلامية باتجاه ترجمة ردة الفعل الأمريكية إلى حرب مدمرة على الشعوب العربية والإسلامية.

وقد توجه الإعلام الصهيوني عدة اتجاهات، وعمل على عدة جبهات مما يشير إلى طبيعة التوجه التدميري للتحرك الصهيوني داخل فلسطين المحتلة وفي أمريكا وفي سائر أنحاء العالم وأهم هذه الاتجاهات:

1 ـ صب الإعلام الصهيوني كل حقده على العرب والمسلمين وصورهم بأنهم إرهابيون، وأن ما حدث في أمريكا ليس إلا من فعل العرب والمسلمين الحاقدين على الحرية والديموقراطية وقيم العالم الحر.

2 ـ كرّس الإعلام الصهيوني نفسه لدفع الأمريكيين شعباً وحكومةً باتجاه شن حرب مدمرة على كل الدول التي تؤوي الإرهابيين حسب التصنيف الأمريكي، ولاشك أن الوضع النفسي للأمريكيين كان يحتاج إلى عود ثقاب ليشعل الحرب باتجاه أفغانستان بداية، وكان الإعلام الصهيوني عود الثقاب الذي أشعل الحرب.

3 ـ ربط الإعلام الصهيوني بين ما جرى في أمريكا وبين ما يجري في فلسطين وحاول بشتى الوسائل إدماج الصورتين ليجعل من الفلسطينيين (إرهابيين) أيضاً، ويجعل من العدو الصهيوني العنصري ضحية لهذا الإرهاب.

4 ـ صوّر الإعلام الصهيوني الصهاينة داخل فلسطين المحتلة وكأنهم الأكثر حرصاً على مشاركة الولايات المتحدة عسكرياً في الحملة التي شنها على أفغانستان ثم العراق، ويظهر دوماً أن هذا التوجه الصهيوني كان يقصد من ورائه إطلاق الحرية الكاملة للكيان لينفذ عملية تصفية الفلسطينيين دون حساب، لأنها تأتي حسب التصور الصهيوني الأمريكي في سياق ما يسمى الحرب على الإرهاب.

وكان من أخطر ما حققه الإعلام الصهيوني أنه نجح في ربط قضية الإرهاب بالمسلمين، ودفع بالإعلام والرأي العام الغربي ليصبح منحازاً إلى هذا المفهوم بشكل خطير، وهو ما تجلى في المواقف الغربية من المقاومة الفلسطينية، فأدرجت في لوائح المنظمات الإرهابية وأصبحت مقاومة الاحتلال في نظر العالم إرهاباً والاحتلال مشروعاً ومسكوتاً عنه[1].

الكيان الصهيوني حليف وحيد لأمريكا في المنطقة:

لقد ثبت بالأدلة كلها، ولم يبقَ سراً أن جميع الإدارات الأمريكية تساعد الكيان الصهيوني وتتغاضى عن أعماله، وتشجع بالتالي الحكام الصهاينة على القيام بخطوات عدوانية جديدة.

---

(1) صلاح الدين الجعفراوي، الحملة الإعلامية الغربية على الإسلام والمسلمين، مجلة التواصل، العدد 7، ص52، أيلول 2005.

وبعد أن اطلعنا على ما فعله الإعلام الصهيوني، وكيف استجابت له الولايات المتحدة الأمريكية نؤكد أن هذا الكيان سيبقى مستقبلاً أكثر حليف مميز للولايات المتحدة في الشرق الأوسط، وذلك بسبب وحدة طبيعة وأهداف الولايات المتحدة والصهيونية العالمية.

والأغرب من هذا كله أن بعض العرب ما يزالون على قناعة بأن أمريكا صديقة لهم ولن تتخلى عنهم، وهم يدركون الحقيقة بأن أمريكا لا يهمها في هذا الشرق سوى أمن الكيان الصهيوني، وما تبقى في المنطقة ليس إلا مصادر ثروة بترولية وغيرها، ستظل أمريكا تمتص خيراتها حتى آخر نقطة نفط.

وقد عبّر عن ذلك جميع رؤساء الولايات المتحدة حتى الرئيس أوباما، وقد كان الأكثر صراحة الرئيس ريغان الذي حكم أمريكا في الثمانينيات وقال وقتها: إن من العجز الصريح أن تفكر أي دولة عربية باحتلال موقع الكيان الصهيوني بالنسبة لأمريكا وإستراتيجيتها.

ويرى الغرب وعلى رأسه أمريكا أن هناك التزاماً واحداً حافظت وتحافظ عليه دول الغرب، وهو حماية الوجود الصهيوني العسكري ودعمه بكل الإمكانات العسكرية والسياسية كتعبير عن أهداف الإستراتيجية الأمريكية ضمن الصراع الدائر في الشرق الأوسط.

والإدارة الأمريكية أياً كانت تعلن وبشكل مكشوف أن تطوير علاقات الولايات المتحدة مع الدول العربية ضروري لصالح العدو الصهيوني على المدى البعيد.

وفي هذا السياق يقول جيمس باكلي نائب وزير خارجية أمريكا زمن ريغان: دعوني أؤكد أن هذه الإدارة ستبقى ملتزمة بأمن إسرائيل وستضمن لها الاستمرار في تفوقها العسكري الجوهري على الأعداء المحتملين.

والواقع أن الإدارات الأمريكية وقعت مع العدو الصهيوني اتفاقات لم توقع مع أحد سواه، ففي زمن ريغان وقعت أمريكان اتفاق الاتحاد العسكري مع العدو،

وفي عهود الرؤساء الآخرين وحتى اليوم تتقيد الولايات المتحدة باتفاقيات عسكرية سياسية مع الكيان لا يمكن أن تنفك عراها.

وحين ننظر إلى الواقع الإقليمي في المنطقة نرى أن أمريكا عملت كل جهدها لتنفيذ اتفاقات كامب ديفيد بين مصر والكيان واتفاقات وادي عربة مع الأردن، واتفاقات أوسلو مع بعض الفلسطينيين وجميعها صبت في صالح الكيان الصهيوني ولم يستفدْ العرب سوى مزيد من التخلف والفقر والتبعية.

إضافة لذلك فإننا حين نطلع على الحرب التي شنتها أمريكا على العراق ندرك كم كان حجم الفعل الصهيوني المساند للقوات الأمريكية، فهناك الآلاف من الجنود اليهود الذين شاركوا في الحرب وسرقوا الآثار العراقية، وفتكوا بأبناء الشعب العربي من رجال ونساء وأحياء بكاملها، ولا ننسى الشركات الأمنية التي عاثت فساداً وسفكت الدماء في العراق وأفغانستان، مثل شركة بلاك ووتر المشهورة، فهي في غالبيتها يسيطر عليها مرتزقة من اليهود الصهاينة.

على أية حال فإننا نستخلص من التعاون الإستراتيجي بين العدو الصهيوني والولايات المتحدة عدة أمور:

1 ـ الغرب وعلى رأسه أمريكا ينظرون للكيان باعتباره امتداداً طبيعياً للغرب وحضارة الغرب ولا ينفصل عن المصالح الحيوية عنهم.

2 ـ الحرص على التفوق العسكري ومن ضمنه السلاح النووي للكيان الصهيوني بحيث يبقى مفهوم التوازن في منطقتنا لصالح الصهاينة.

3 ـ إن الكيان الصهيوني بنظر الغرب قاعدة عسكرية متقدمة للحلف الغربي المسمى حلف الناتو، فهو شبيه بالعصا التي يمسكها الغرب يهدد بها أي دولة عربية أو إسلامية تحاول التحرر من الاستعمار والنفوذ الغربي، بل أكثر من ذلك فإن الغرب يعتبر وجود الكيان ضرورياً لمنع أي تقارب وحدوي عربي اقتصادي أو سياسي أو عسكري، ويدرك الغرب أنه يستفيد جداً من تحالفه مع الكيان الصهيوني حيث يقدم الكيان كل التسهيلات للطائرات الإستراتيجية الغربية،

ولاسيما التسهيلات في النزول والصعود في مطارات الكيان، لذلك يقوم الكيان بالاشتراك المستمر بالمناورات الغربية البحرية والجوية إضافة للعمل الاستخباراتي المستمر بين السي آي ايه، والموساد.

وقد ثبت أن الكيان استخدم حاملات الطائرات الأمريكية في تنفيذ عدة عمليات إجرامية ضد العرب والمسلمين، وكذلك فإن الولايات المتحدة تقدم كل ما تملك من تقنيات عالية في صنع الصواريخ الصهيونية والدبابات والطائرات المتفوقة والتكنولوجيا المتقدمة.

يبقى أن نقول في هذا الإطار: لا يمكن للغرب وأمريكا أن يكونوا أصدقاء للعرب، فهذه هي طبيعتهم وهذه هي إستراتيجيتهم ومصالحهم.

واقع المسلمين في دول الغرب:

واقع المسلمين في دول الغرب موضوع واسع وشائك وعميق في الزمن، وحينما نسلط الضوء على هذا الموضوع فإن الذي يدفعنا هو تنامي الكره للعرب والمسلمين على الرغم من أنه موجود منذ قرون طويلة.

ويبرزهذا الواقع على السطح في هذه السنوات خاصة بعد الحادي عشر من أيلول وما جرى في أمريكا وبريطانيا وإسبانيا وفرنسا من تفجيرات وأعمال أخرى رآها الغرب حرباً بين الغرب والمسلمين أو بين الشرق والغرب.

وعلى الرغم من القوانين الغربية العلمانية التي تضمن حرية التعبير وحرية العبادة والتعليم، إلا أن الكثير من الغربيين أخذوا يفسرون القوانين عدة تفسيرات تناسب كل عرق أو كل نوع من المهاجرين حسب ما تقتضيه المصلحة الغربية.

ولعل الظواهر العامة المشتركة في الدول الغربية تكاد تكون واحدة، لأن الغرب بشكل عام وقع فيما يُسمى الخوف من الإسلام (إسلاموفوبيا) وراح من خلال هذا الخوف يعامل المسلمين في حياتهم اليومية، وفي التعليم وفي الشعائر الدينية والبطالة المقصودة واستغلال أوضاع المهاجرين ومعاملته كالعبيد، إلى

التنصت ومضايقة المصلين والفتيات المحجبات، وسن القوانين التي تواجه المسلمين وأسرهم وحياتهم بشكل عام.

وكشواهد على العنصرية الغربية تجاه العرب والمسلمين وجدنا آلاف التقارير والمقالات التي تعالج هذه الظاهرة.

ولعل بعض هذه التقارير يجمل المظاهر مجتمعة، ويرى أهم هذه التقارير والدراسات أن تشجيع الولايات المتحدة لما أسمته الحرب على الإرهاب كان هو السبب في تفاقم الوضع كثيراً بالنسبة للمسلمين في أوروبا، كما هو مبين في تقارير اللجنة الأوروبية لمراقبة الدولة.

يقول توماس هامربرغ: واجه المسلمون الأوروبيون أجواء اجتماعية أكثر عدائية بعد 11 أيلول 2001، كما ساهمت جريمة قتل المخرج السينمائي الهولندي الذي هاجم الدين الإسلامي في أفلامه، والتفجيرات المميتة في مدريد ولندن في تفاقم التحيزات وتأجيج المزيد من حوادث العداء والعدوان، وأصبح الإسلاموفوبيا ظاهر واسعة الانتشار في جميع أنحاء أوروبا حسبما أثبتت نتائج الاستطلاع التي أجراها المركز الأوروبي لمراقبة العنصرية وكراهية الأجانب ومجلس لجنة أوروبا لمكافحة العنصرية والتعصب، وهذه كلها إشارات الإنذار التي يجب أن تسمع وأن تتخذ فيها إجراءات سياسية فعالة.

وتشير الدراسات التي تعتمد على المقابلات الشخصية إلى تزايد شعور المرارة وألم الاغتراب بين المسلمين في أوروبا.

صرحت امرأة مسلمة في النمسا نقلاً عن (EUMC): نواجه كراهية الغرب للإسلام في الحياة اليومية، في حوادث صغيرة وأشياء بسيطة، فعلى سبيل المثال تسمع من يقول بصوت عالٍ أوه!! امرأة ترتدي الحجاب ليس لها أي داع للمكوث في هذا البلد، أو آخر يمشي كلبه ويقول (فاس) إذا قابل شخصاً مسلماً الأمر الذي يعني إلحق به، وكمسلم تحاول تجنب هذه الأمور ولكنك ستتعرض لها يوماً من الأيام.

وللأسف تعتبر مثل تلك المضايقات منتشرة جداً فلقد سمعت بأشخاص كثيرين يميلون إلى تلك المضايقات خلال زياراتي في الأشهر الماضية، كما سجلت المنظمات غير الحكومية حوادث أكثر خطورة لجرائم الكراهية ضد المسلمين بدءاً من التهديدات خلال زياراتي في الأشهر الماضية، كما سجلت المنظمات غير الحكومية حوادث أكثر خطورة لجرائم الكراهية ضد المسلمين بدءاً من التهديدات باللفظ إلى الاعتداءات الجسدية على الأشخاص والممتلكات.

وقد ركز تقرير (EUMC) على الوضع في الدول الأعضاء في الاتحاد الأوروبي محاولاً تقييم جوانب أكثر أساسية لهذه العنصرية ملخصاً أن العديد من المسلمين يتعرضون لمعاملة غير عادلة في التوظيف والتعليم والإسكان في بلدان الاتحاد الأوروبي، حيث يواجه الشبان المسلمون على وجه الخصوص حواجز تقف أمام تقدمهم الاجتماعي كالآتي:

1 ـ أظهر اختبار العنصرية في بريطانيا وفرنسا عن الأشخاص ذوي الأسماء الإسلامية أو القادمة من البلدان ذات الأغلبية المسلمة أن نسبة احتمال دعوتهم لإجراء مقابلة عمل ضئيلة جداً، وأن معدل البطالة بين المسلمين في العديد من دول الاتحاد الأوروبي أعلى بشكل واضح من الذين ينتمون إلى ديانات أخرى.

2 ـ وتشير الإحصاءات أيضاً إلى أن المسلمين محرومون من نظام التعليم وأن تحصيلهم أقل بكثير من غيرهم من المجموعات الأخرى، وقد يكون هذا ناجماً بشكل جزئي عن عوامل أخرى غير تلك المتعلقة بالدين مثل البطالة والفقر واللغة ووضعية الهجرة، ولكن من الواضح أنه يسهم في حلقة مفرغة من التهميش الاجتماعي.

3 ـ يعتبر الإسكان مشكلة أخرى ـ فالمهاجرون بما في ذلك أولئك القائمون في بلدان ذات غالبية مسلمة يعيشون في ظروف أكثر فقراً وأقل أمنا. وهذا بدوره يؤثر على التعليم وفرص العمل.

وتوجد الميول نحو العنصرية أيضاً في بعض البلدان الأوروبية خارج الاتحاد الأوروبي، وقد أخذت مظاهر الخوف من الإسلام داخل المجتمعات الأوروبية

أشكال الكراهية المستمرة والمواقف السلبية والعنصرية، والعنف أحياناً، وقد أعلن مركز مراقبة العنصرية وكراهية الأجانب عن أسفه ـ في تقاريره ـ عن الصورة غير الدقيقة للإسلام التي تعتمد على العداء والنمطية التي جعلت هذا الدين يبدو وكأنه يشكل تهديداً.

توجد الآن قوانين مكافحة العنصرية، بالإضافة إلى إجراءات لتقديم الشكاوى في معظم البلدان، ومع ذلك فإنه ليس من السهل دائماً بالنسبة للأفراد الذين ينتمون إلى جماعات أقلية المطالبة بحقوقهم في حالات العنصرية، وهناك حاجة إلى مبادرات دعم.

النموذج العنصري الكندي تجاه المسلمين:

من المعروف أن كندا بمساحتها الواسعة وسكانها القليليين ومواردها القوية تستهوي آلاف المهاجرين من منطقة الشرق العربي والإسلامي.

والواقع أن قوة اقتصاد كندا ينتج عن وجود عمالة ماهرة ورخيصة من المهاجرين حيث إن كندا تستقبل سنوياً آلاف المهاجرين الذين اختاروا كندا لتكون وطناً لهم.

ويرجع هؤلاء المهاجرون إلى عدة دول، وخلال إكمال عملية الهجرة فإن هؤلاء العمال الذين ينحدرون من دول إسلامية لا يتم تنويرهم بحقيقة الأوضاع في كندا، ومعظم هؤلاء المهاجرين من ذوي الشهادات الأكاديمية الرفيعة والمهارات العالية الذين يتصورون كندا على أنها أرض الأحلام، وما إن تطأ أقدامهم أرض كندا حتى يعلموا أنهم قد وقعوا ضحية عملية نصب واحتيال، ويرجع بعضهم إلى أوطانهم بعد أشهر قليلة بعد أن يكونوا قد فقدوا كل مدخراتهم، إلا أن الغالبية العظمى منهم لا يستطيعون الرجوع إلى أوطانهم لأنهم سيكونون خاليي الوفاض.

خلال الأشهر الأولى ينفق المهاجرون كل مدخراتهم في انتظار الحصول على وظيفة مناسبة وما يزيد الأمر سوءاً هو أن معظمهم يبيع كل أملاكه من عقار ونحوه في وطنه قبل السفر إلى كندا ويستقيل بعضهم من وظائفهم التي كانوا فيها، ويأتون

إلى كندا ليواجهوا مصيرهم المظلم، حيث إنهم لا يتلقون أية مساعدات من الحكومة الكندية.

وفي رحلة البحث عن الأفضل فإن بعض هؤلاء المهاجرين الذين ينحدر معظم من باكستان والهند ومصر كانوا يعملون في دول الخليج العربية ويأتون إلى كندا متسلحين بشهاداتهم العلمية الرفيعة وخبراتهم الطويلة ومدخراتهم التي أفنوا في سبيل الحصول عليها زهرة شبابهم بعد أن يتم خداعهم بواسطة مكاتب الهجرة إلى كندا.

وتؤكد مكاتب المهاجرين أنهم لن يتعرضوا إلى أي مضايقات عنصرية أو دينية في كندا، لأن الدستور الكندي يحميهم، وواقع الحال يقول إن الحكومة الكندية قد فشلت في حماية هؤلاء المهاجرين الذين يتعرضون إلى أقسى أنواع التعذيب النفسي.

وبعد أحداث 11 أيلول راح الكنديون ينظرون إلى كل مسلم بعين الارتياب، ومجرد أن يحمل الشخص اسماً مسلماً فإن ذلك يعتبر كافياً للاشتباه به، بغض النظر عما إذا كان يطبق تعاليم الإسلام أم لا، وحتى أولئك المسلمون الذين تأثروا بالمجتمعات الغربية وتبنوا ثقافة الغرب يجدون أنهم ليسوا بمعزل عن هذه المضايقات والتفرقة بسبب أسمائهم الإسلامية.

وقد زادت حدة المضايقات بعد أحداث أيلول، ونتيجة لذلك ارتفعت معدلات البطالة بين المهاجرين المسلمين إلى مستويات غير مسبوقة، وأفادت دراسة حديثة أن حوالي 75٪ من المهاجرين لا يستطيعون الحصول على وظائف تتناسب مع مؤهلاتهم العلمية الأكاديمية حتى الوظائف الهامشية غير متوفرة للمسلمين، على الرغم من أن معظم هؤلاء المهاجرين من حملة الشهادات العليا في الطب والهندسة والجيولوجيا وهندسة الكمبيوتر وعلومه والمحاسبة، إلا أن معظمهم يعملون أعمالاً هامشية بالأجر اليومي، كحراس أمن وعمال نظافة في مطاعم ماكدونالد وكنتاكي، وبرجركينغ وسائقي سيارات أجرة، والمحظوظ منهم من يجد عملاً مؤقتاً يستمر لعدة أسابيع، حيث يتم إخضاعهم لفترة اختبار طويلة المدة

يجلسون فيها لاختبارات قاسية وصارمة، ومن ثم يتم تسريحهم بدعوى عدم اجتيازهم الاختبارات المطلوبة.

ويتعرض المسلمون ومعظم السكان غير الأوروبيين لتفرقة وتمييز مبني على أسباب دينية، وقد تعرض العديد من المساجد ودور العبادة لاعتداءات بعد 11 أيلول، وعلى الرغم من انحسار موجة الاعتداءات إلا أن معدلات التمييز ضد المسلمين مازالت في ارتفاع متزايد حيث تم طرد مئات المسلمين من أعمالهم.

هؤلاء المهاجرين ليسوا طالبي لجوء سياسي حيث إنهم اختاروا كندا بغرض الاستقرار فيها وهم ينحدرون من دول فقيرة، وترمي سياسة الهجرة الكندية إلى تحقيق هدفين، هما استدراج هذه الكفاءات الوطنية إلى خارج بلدانها والاحتفاظ بهذه العقول المسلمة داخل أراضيها.

ويرفض أصحاب العمل إدماج هذه الكفاءات في مؤسساتهم وشركاتهم بدعوى عدم حصولهم على الخبرة الكندية الكافية، وهنا يرتفع تساؤل كبير وهو لماذا لم يتم التنويه على هؤلاء المهاجرين من قبل القائمين على مكاتب الهجرة بأنهم سوف يعملون كسائقي سيارات أجرة وعمال نظافة في المطاعم وحراس أمن.

إضافة لذلك كله تساهم وسائل الإعلام في ترسيخ هذه العنصرية باستمرارها في نشر الكتابات المسيئة للدين الإسلامي لدرجة أصبح فيها المسلمون يخشون على أنفسهم وممتلكاتهم، ويقول بعض المحللين: إن الأجواء السياسية في الولايات المتحدة وكندا ربما تساهم في حدوث مجازر جديدة ضد المسلمين حيث إن وسائل الإعلام الأمريكية المسموعة والمرئية والمقروءة تستعدي المواطنين ضد الإسلام.

ويتساءل الكثيرون متى ستقوم الحكومة الكندية بإيقاف ذلك؟ لا أحد يدري ومؤخراً زادت الكتابات المسيئة للإسلام والمسلمين في وسائل الإعلام في أمريكا وكندا، ولا يكاد يمر يوم دون أن يتطوع أحد الكتاب أو الصحفيين أو المذيعين ويكيل السباب للإسلام والمسلمين[1].

---

(1) سيد شودري، كرستيان ساينس مونيتور، 29 أيار 2008.

النموذج العنصري الفرنسي:

فرنسا كما كان يُظن بلد الثورة التي نادت بالحرية والإخاء والإنسانية، لكن فرنسا اليوم كما كانت إبان الحروب الإفرنجية على الشرق في القرون 11 و12 ـ 13 تمثل قمة العنصرية ضد الإسلام والمسلمين.

وقد أثارت الحملة العنصرية ضد الإسلام والمسلمين وسائل إعلامية عديدة من محطات تلفزة إلى مراكز دراسات وإعلام إلى صحف، وقد ضجت في الفترة الأخيرة أي في 2010 وسائل إعلام كثيرة وباحثون وصحفيون عرب وأجانب وراحت شبكة الإنترنت تنشر التقارير والمقالات حول كافة أشكال الممارسات العنصرية الفرنسية.

وقبل هذا العام الذي يشهد هذا الضجة حول العنصرية في فرنسا كُتبت تقارير عدة تناولت مظاهر العنصرية التي لم تكن فجّة إلى هذا الحد.

في عام 2005 وتحديداً في شهر آذار نشر موقع المؤتمر نت تقريراً تحدثت فيه عن نسب تضاعف العنصرية في فرنسا وجاء فيه تحت عنوان العنصرية ضد مسلمي فرنسا تزيد بنسبة 25٪.

وقد كشف تقرير أصدرته لجنة حقوقية مستقلة في فرنسا عن تضاعف الأعمال العنصرية ضد رموز الإسلام في هذا البلد بنسبة 251٪ خلال عام 2004 مقارنة بعام 2003 مشيراً إلى أن عناصر وجماعات تنتمي لليمين المتطرف هي المسؤولة الأساسية عن تلك الأعمال العدائية.

وأضاف التقرير أن الأعمال العنصرية الموجهة ضد رموز الإسلام بصفة خاصة تضاعفت بنسبة 251٪ لتجاوز كل أشكال العنصرية ضد رموز الديانات الأخرى.

وذكر أن المواطنين ذوي الأصول المغاربية كان لهم النصيب الأكبر من التعرض لأعمال عنصرية حيث تعرضوا لـ 595 اعتداء عام 2004 مقابل 232 اعتداء عام 2003.

وأشار التقرير إلى أن الأعمال العنصرية بصفة عامة والموجهة ضد المسلمين والأفارقة واليهود قد تضاعفت بشكل عام حيث بلغت 1565 عام 2004.

وتنطلق الموجة العنصرية من الخلط بين المهاجرين والمسلمين والإسلاميين وبين ما هو ثقافي وما هو ديني.

وتعتبر جماعات اليمين المتطرف المسؤولة عن الأعمال العنصرية ضد المسلمين بنسبة 59٪، ويبقى المسلمون الهدف الأول لاعتداءات جماعات اليمين المتطرف رغم تعرض بعض مقابر اليهود وأماكن عبادتهم لأعمال عنصرية أيضاً، ومن الواضح أن اليمين المتطرف يستهدف اليهود بصفة أقل من استهدافه للمسلمين.

وكان من أهم مظاهر هذه العنصرية:

1 ـ الهجوم على شاب مغاربي يوم 21/ 1/ 2004 من قبل جماعة تنتمي إلى اليمين المتطرف في قلب باريس.

2 ـ تفجير ممتلكات للمغاربيين في جزيرة كورسيكا يوم 14 ـ 15/ 2005.

3 ـ رسم 48 صليباً معقوفاً على مسجد بمدينة ليل شمال فرنسا.

4 ـ الضرب المبرح لامرأة محجبة في مدينة دنان شمال فرنسا من قبل اليمين المتطرف.

وتعتبر كورسيكا جنوب فرنسا المسرح الأساسي للكثير من الأعمال العنصرية ومن بين الأحداث التي شهدتها هذه الجزيرة محاولة اغتيال استهدفت محمد الأطرش إمام مسجد مدينة سارتين[1].

ولعل أحدث ما جرى من عنصرية ضد المسلمين دعوة الفرنسيين الأصليين إلى تجمع نقانق ونبيذ الذي أطلق صيحة عنصرية بتاريخ 17/ 6/ 2010 وذلك في مسعى لتهميش المسلمين، ودعت مجموعة على موقع فايسبوك تترأسها سيلفي فرانسوا إلى حضور تجمع في حي لاغوت دور الشعبي المعروف بتوجهه ومزيجه العرقي لكي تعود المظاهر الأصلية للحي بعدما سطا عليه الخصوم من المسلمين خصوصاً يوم الجمعة، حيث يؤدي المسلمون صلاة الجمعة.

---

(1) موقع إسلام أون لاين.

وقالت فرانسوا لموقع ريبوست لاييك (أي الرد العلماني) الإلكتروني: إن التجمع يهدف إلى استعادة الحي من المسلمين الذين يحاولون فرض منتجاتهم الإسلامية وحظر منتجاتنا بما فيها لحم الخنزير والنبيذ، وتابعت بالنسبة لي كامرأة فإنني لا أتعاطف مع الدين الإسلامي وأجده ديانة غريبة.

واستقطبت الدعوة الفايسبوكية 3500 شخص، ويرتكز منظمو هذا التجمع على الحيثيات التي ارتكزت عليها جمعية التضامن مع الفرنسيين، التي نظمت في 2007 مقدمة حساء بلحم الخنزير للأشخاص الذين ليس لهم مأوى.

كيف تتغذى العنصرية في الغرب؟:

يجمع الباحثون والمراقبون الذين يلمسون مظاهر العنصرية عن كثب في بلدان أوروبا أن هناك أسباباً عديدة وراء تفاقم العنصرية في الغرب، منها أسباب سياسية وثقافية واجتماعية، وقد لعبت أدواراً متباينة الحجم في تغذية العنصرية ويلخص الكاتب صلاح الصيفي هذه الأسباب فيما يلي:

1 ـ ثقافة التفوق العرقي والفردية الغربية وتحيز الجنس الأبيض، وهي ثقافة ساهمت مساهمة كبيرة في صناعة تاريخ أوروبا وبررت موجات الاستعمار والهيمنة وتدمير الشعوب الأخرى في مختلف قارات العالم.

2 ـ تزايد فقدان المجتمعات الغربية لثقتها بنفسها، ومدى ثقة المجتمعات في نفسها من العوامل البالغة التأثير في دفع المجتمعات إلى الانفتاح على الآخر أو الانكماش في وجهه.

3 ـ انتشار البطالة بين الشبان الغربيين الذين يشعرون أن الأجانب زحفوا على دولهم وصاروا ينافسونهم بأيدٍ عاملة رخيصة. (وبالطبع هذا عائد إلى سوء النظام الرأسمالي).

4 ـ التصرفات السيئة والمشينة لبعض الأجانب وأبناء الأقليات العرقية المقيمة في الغرب من عنصرية مضادة وتورط في شبكات الجريمة والاتجار بالمخدرات والعيش عالة على دافعي الضرائب الغربيين.

5 ـ الإعلام الغربي وهو إعلام يقوم على ترسيخ صور نمطية عن الذات والآخر؛ الذات بصفتها رمزاً للتقدم والنجاح والتحضر، والآخر بصفته أقرب إلى التوحش والبدائية وقلة الحضارة.

ومما لاشك فيه أن عدداً من الكتاب الأوروبيين الكبار ساهموا في تغذية روح العنصرية في المجتمعات الأوروبية، وكذلك ما كتبه صموئيل هنتنغتون وفوكو ياما وغيرهما.

يقول الدكتور مراد هوفمان: إن العقلية الصليبية مستيقظة جداً، وحية، وهي التي تفسر الإمبريالية الثقافية التي ظهرت في كتاب فوكو ياما وكتاب هنتنغتون، وتتلخص نظرتهم بأن العالم الإسلامي سوف يختفي عاجلاً أو آجلاً، ويصبح هامشياً[1].

ومن الكتب التي ظهرت في فرنسا وتحرّض على العنصرية كتاب ألفه نائب رئيس تحرير صحيفة لوفيغارو الفرنسية، ويتضمن الكتاب رسالة إلى رئيس فرنسا حول الموقف الذي يجب أن تتخذه فرنسا من المهاجرين من المسلمين، ويتضمن الكتاب رسالة قوية تدعو إلى دمج المسلمين في المجتمع الفرنسي والقضاء على تميزهم الديني والأخلاقي والثقافي.

وقد راجع الكتاب وعلق عليه الكاتب قيس العزاوي في وقته، وقد حوى الكتاب على افتراءات خطيرة على الإسلام والمسلمين في قضايا، مثل تعدد الزوجات، ومنع الاختلاط بين الجنسين، ومؤسسة الزكاة، فليس الإسلام مجرد حجاب قد يسمح به الفرنسيون أو لا يسمحون.

وقد رد الباحث العزاوي على الكاتب الفرنسي بقوله: هل الحرية في فرنسا تبيح للمرأة أن تكشف عورتها بظهورها شبه عارية في ملهى الليدو وغيرها من الملاهي المماثلة في فرنسا وتحرم نفسُ الحرية غطاء الرأس؟.

ويزعم الكاتب أن الإسلام أباح تعدد الزوجات والمجتمع الفرنسي يرفض ذلك، ولكن ما بال المجتمع الفرنسي لا يرفض تعدد العشيقات، واسألوا أحد

---

(1) مركز المدينة المنورة للدراسات وبحوث الاستشراق.

الشوارع المتفرعة من شارع الشانزليزيه ماذا يحدث عندما تقف السيارات في طرفي الشارع، أي بهيمية هذه التي يرضى الرجل لزوجته أن يأخذها رجل آخر يسلمها له بيده، أو يوصلها وهي تذهب، واسألوا من اعترف بأولاد من الزنا هل حقق لهم الكرامة الحقيقية فلو كان متزوجاً بأمهم لكانوا أولاده شرعاً.

أليست الإباحية في المجتمعات الغربية هي التي أدت إلى أن يشك الأبناء بآبائهم[1]، حتى بدأت المختبرات تنتشر في المجتمعات الغربية تكشف للأبناء عن حقيقة أبوة من يدعي أنه أبوهم، لقد تجاوزت كراهية العرب في فرنسا لتصبح كراهية للدين الإسلامي برمته، وهذا ما كشفته الصحفية كارولين فوتين في مجلة باري متش.

هذه الصحفية ارتدت الحجاب لمدة 21 يوماً في مغامرة صحفية ونقلت تعليقات المجتمع المسيئة، وإضافة للتعليقات القبيحة فإن بعض الفرنسيين المتعصبين صرخ في وجهها وكأنها تحمل بندقية رشاشة، وقالت الصحفية إنها التقت بإحدى المسلمات وقالت لها: إنها ارتدت الحجاب فقالت لها المسلمة: لن تجدي عملاً وستواجهين تعصباً في كل مكان بدءاً من أماكن العمل حتى الأحزاب السياسية التي ترفض اشتراك المحجبات بها، وقالت الصحفية في مغامرتها: إنه كان يتم تفتيشي بدقة كما لو كنت خطراً على الأمن، وأنها لا تسمع إلا الشتائم والمعاكسات السخيفة.

وقد كشف عن هذه العنصرية في فرنسا الباحث فانسان جاير وهو باحث بمعهد الأبحاث والدراسات حول العالم العربي في كتاب له بعنوان (موجة كراهية الإسلام على الطريقة الفرنسية)، وذكر أن الإسلام هو الدين الثاني بعد الكاثوليكية، وأن كراهية الإسلام تنبع من خلاف تاريخي وإدراك عام بأن الإسلام دين يسعى لكي يصبح فرنسياً، وأن العقلية الفرنسية تصر على اعتبار أبناء المهاجرين حتى أبناء

(1) مركز المدينة المنورة لدراسات وبحوث الاستشراق، دون تاريخ.

الجيل الثاني الذين ولدوا وتربوا في فرنسا ليسوا مواطنين فرنسيين ويعتبرونهم مسلمين من أصول عربية.

ويرصد الباحث الفرنسي 15 حادث اعتداء على المساجد تراوحت بين إلقاء ألوان على جدار المسجد أو إشعال حرائق وإلقاء مواد حارقة، وإرسال طرود مفخخة، ورصد الباحث أيضاً قرارات محلية في بعض المدن منها قرار عمدة مدينة (أومون) في الشمال بمنع المسلمين من إقامة احتفالات الزواج يوم السبت على أساس أن هذا اليوم مخصص للفرنسيين المؤمنين الكاثوليك.

ورصد (جاير) في كتابه عدة أفعال منها هدم صالة للصلاة، ووصف المحجبات بالمريضات، والأئمة بالأميين في بعض الكتابات.

وقد طرد وزير العدل الفرنسي دومنيل بيرفان امرأة عضواً في هيئة المحلفين في محكمة باريس لارتدائها الحجاب، وقال: إن الحجاب يتضمن جزئياً معنى الانحياز وإنه لا يريد وجود علامة على الالتزام الديني بالمحاكم.

ورصد (جاير) ما نشرته الصحف الفرنسية ضد الإسلام والمسلمين ووصل الأمر إلى تخصيص ملف داخل مجلة الإكسبرس بعنوان أموال المسلمين في فرنسا، وحمل الملف دعوة لتطويق الإسلام بالرقابة على مصادر تمويل المساجد والجمعيات الخيرية على الرغم أنه بموجب القانون الفرنسي لا يتم تمويل هذه المساجد من ميزانية فرنسا وتعتمد في تمويلها على الدول الأصلية للمسلمين هناك.

أما الكاتب الفرنسي ميشيل هولبيك فقد أثار مشاعر الغضب لدى المسلمين عندما قال لمجلة (لير): إن الإسلام دين غباء وإنه، أي الكاتب، يصاب بالانهيار عند سماع القرآن.

إن ظاهرة العنصرية في فرنسا وأوروبا وأمريكا أصبحت مقلقة بشكل كبير إذ أنها تفصح عن عداء ديني وعرقي للعرب والمسلمين، ولا نعتقد أنها تمر بسلام، فزيادة الظاهرة سيشعل حرباً إعلامية ودينية بين الغرب والشرق، لا يعلم مداها سوى الله.